مجموعة قصصيّة

«من بين أفضل كُتّاب القصة
القصيرة على مرّ العصور»
The Guardian



عمّ نتحدّث حين نتحدّث عن الحب

ريموند كارفر

ترجمة سلطان فيصل

ريموند كارڤر

عمّ نتحدث
حين نتحدّث عن الحب

(مجموعة قصصية)

ترجمة سلطان فيصل



عمّ نتحدث

حين نتحدّث عن الحب

هذا الكتاب بدعم من:



مبادرة 1001 عنوان

عمّ نتحدّث حين نتحدّث عن الحب

تأليف: ريموند كارفر
ترجمة: سلطان فيصل
تحرير: أحمد العلي

الترقيم الدولي (ISBN): 978-9948-10-144-4



إصدارات روايات (إحدى شركات مجموعة كلمات)
الطبعة الأولى 2018

القصباء - مبنى D
هاتف: 5566696 6 971+ فاكس: 5566691 6 971+
ص. ب. 21969 الشارقة، الإمارات العربية المتحدة
info@rewayat.ae
www.rewayat.ae



إلى تِس غالاغر

يسرّ المؤلّف أن يعبّر عن تقديره لمؤسسة جون سايمون غوغنهايم التذكارية، وللصّندوق الوطني، لاختياره في برنامج المِنَح الإبداعية. ويرغب أيضًا في إيصال شكره وامتنانه إلى نول يونغ في دار نشر كابرا.

الفهرس

لمَ لا ترقصان؟

في المطبخ، أعدّ كأسًا أُخرى من الشراب، ناظرًا إلى غرفة النوم المنصوبة في فناء بيته الخارجي.

أبصر مرتبة السّريرعارية دون فراش، وبجانبها طاولة تسريحة تحمل شراشف مقلمة باللونين الأحمر والأبيض، ووسادتين.

عدا ذلك، فالأشياء داخل غرفة النوم تُشابه ما في الخارج: منضَدة ومصباح قراءة كانا فيما مضى على جانبه من السرير، ومنضَدة ومصباح قراءة آخرَين كانا على جانبها هي.

على جانبه، على جانبها!

فكّر في ذلك وهو يشرب رشفة من الويسكي.

وقفت طاولة التسريحة على بُعد أقدام عن السرير. هذا الصباح أفرغ أدراجها في علب كرتونيّة وأبقاها في غرفة النوم.

المدفئة القابلة للنّقل وُضعت جوار طاولة التسريحة.

عند ذيل السّرير ثمّة كرسي خيزرانيّ تزيّنه وسادة، بينما عُدّة المطبخ الألومنيوميّة اللامعة شغلَت حيّزًا في مدخل مرآب المنزل.

ثمّة قماش أصفر واسع من المُوسْلِين – هديّة – يتدلّى إلى أطراف طاولة المطبخ، مغطيًا أصيصَ نبتة زينة كانت على الطاولة، مع صندوق

معالق وشوَك فضيّة، ومُشغّل أسطوانات، كلها كانت هدايا أيضاً. وتلفاز ذو أزار تحكّم حلّ فوق طاولة القَهْوة. وهناك على بُعد أقدام منها أريكة وكرسيّ وأبجورة. أمّا المكتب فقد أُزيح جهة باب المرآب، بما عليه من أدوات طبخ وساعة حائط ولوحتين مُأطَرتين.

في الممَرّ الخارجي للمنزل هناك أيضًا علبٌ كرتونيّة حوَت كؤوسًا وأكوابًا وصحونًا لُفّت جميعها بأوراق جرائد.

صباح ذلك اليوم، أخلى مخزن منزله، ناقلًا الأغراض كلّها خارجه، باستثناء ثلاث علب كرتونيّة بقيت في صالة الضيوف، بينما بقيّة الأغراض عُرضت للبيع أمام الفناء.

مدّ سلكًا كهربائيًا وأوصله بالأجهزة الكهربائيّة في الفناء، فأبقاها متّصلة وتعمل... سيّان حالها –هي الأُخرى– داخل المنزل وخارجه!

الآن تتباطأ السيارات، والنّاس يُمعنون النظر، لكن لم يتوقّف أحد. خطر له أنّه لو كان مكانهم، فلن يتوقّف أيضًا.

"لا بدّ أنهم يبيعون الأثاث المستعمل هنا" قالت الفتاة للفتى، اللذان كانا حينئذ يؤثّثان شقّتهما الصّغيرة.

"لنرَ بكم يبيعون السّرير؟" قالت الفتاة.

"والتلفاز أيضًا" قال الفتى.

أدار الفتى السيّارة نحو مدخل المرآب، ثمّ ركنها أمام طاولة المطبخ.

نزلا، وراحا يعاينان الأغراض. تتحسّس الفتاة القماشة بكلتا يديها؛ الفتى يشغّل الخَلاّط، ضغط زرّ الفرم؛ الفتاة تعثر على طنجرة لتسخين الطعام؛ الفتى يُدير التلفاز، حاولَ ضبط قنواته ثم جلس على الأريكة ليشاهده. أشعل سيجارة. نظر حوله. ثم رمى عود

الثقاب على العشب.

جلست الفتاة على السرير. خلعت حذائها، ثم تمدّدت. تخيّلت أنها ستري نجمة في السماء.

نادته: "تعال يا جاك لتجرّب السرير، هات وسادة وتمدّد جواري."

"كيف وجدتِ السّرير؟" سألها.

"تعال لتجرب بنفسك،" قالت.

نظر الفتى حوله، المنزل يغط في العتمة.

"أشعر بالغرابة،" قال لها. "سأنظر إن كان هناك أحدٌ في المنزل."

راحت ترفع جسدها وتلقيه ليرتدّ عن السّرير مرارًا.

"تعال أوّلاً جرّب،" قالت.

استلقى على السرير، ووضع وسادة تحت رأسه.

"كيف وجدته؟" سألته.

"السرير صلب،" قال.

مالت نحوه، ووضعت راحة كفّها على جانب وجهه.

"قبّلني،" قالت.

"لننهض،" أجابها.

"قبّلني" قالت.

أغمضت عينيها، وتشبّثت به.

"سأنهض كي أرى إن كان ثمّة أحد في المنزل،" قال.

لكنّه اعتدل على السرير وبقي مكانه وحسب، متظاهراً بمشاهدة التلفاز.

اشتعلت الأضواء الداخليّة والخارجيّة للمنازل الواقعة أعلى الشارع وأسفله.

"ألن يكون الأمر ممتعاً لو...؟" قالت الفتاة، ثم ابتسمت ولم تُكمل. ضحك الفتى دون سبب. ودون أيّ سبب أيضًا أنار مصباح القراءة. لوّحت الفتاة بيدها لتطرد بعوضة، بينما نهض الفتى وانشغل بإدخال أطراف قميصه تحت بنطاله.

"سأرى إن كان أحدهم في المنزل،" قال. "أشكّ أنّ أحدًا هناك، وإن كان مِن أحد فسأرى كيف ستسير الأمور."

"مهما كان الثّمن الذي يعرضونه، أنزِله عشرة دولارات، هذه الطريقة مجدية دومًا،" قالت. "وهُم، فوق ذلك، يبدون يائسين، أو شيئًا من ذاك القبيل."

"إنّه تلفاز رائع،" قال الفتى.

"اسألهم عن سعره أوّلاً،" قالت الفتاة.

جاء الرّجل يمشي على الرّصيف يحمل كيسًا فيه سندويتشات، وعلب بيرة، وزجاجة ويسكي. شاهد السيارة مركونة عند مدخل الكراج، والفتاة على السرير. رأى التلفاز مُدارًا، والفتى في شُرفة المنزل الأماميّة.

"أهلاً" قال الرّجل للفتاة. "وجدتِ السّرير إذًا، هذا جيّد."

"أهلًا،" قالت الفتاة بينما تهبّ واقفة. "كنت أجرّبه." ثمّ ربتت على السّرير وقالت: "هو سرير جيّد نوعًا ما."

"بل هو سرير جيّد،" قال الرّجل، ثم أنزل الكيس، وأخرج علب البيرة وزجاجة الويسكي.

"ظننّا أنّه لا أحد هنا!" قال الفتى. "نحن مهتمّون بشراء السرير، وربما التلفاز، وقد نشتري طاولة المكتب أيضاً. كم تريد مقابل السرير؟"

"كنت أفكّر بخمسين دولارًا،" قال الرّجل.

"هل تقبل بأربعين؟" قالت الفتاة.

"سأقبل بالأربعين،" قال الرّجل.

ثمّ تناول كأسًا من إحدى العلب الكرتونية، ونحّى لفافة ورق جرائدٍ كانت تلفّها، ثم أزال الختم عن غطاء زجاجة الويسكي.

"ماذا عن التلفاز؟" قال الفتى.

"خمس وعشرون،" قال الرجل.

"هل تقبل بخمسة عشر؟" قالت الفتاة.

"لا بأس بخمسة عشر، أقبل الخمسة عشر،" قال الرّجل.

ثمّ ألقت الفتاة نظرةً نحو الفتى.

"أيّها الصّبيان، لعلّكما ترغبان بالشّراب،" قال الرّجل. "الكؤوس في صندوق الكرتون هناك. سوف أجلس. سوف أجلس على الأريكة."

جلس الرجل على الأريكة. أسند ظهره، وراح يحدّق بالفتى والفتاة.

عثر الفتى على كأسين، وشرع يصب الويسكي.

"هذا يكفي،" قالت الفتاة. "أريد تخفيف شرابي بالماء."

سحبت كرسيًّا من كراسي طاولة المطبخ وجلست إليها.

"هناك ماء في ذاك الصّنبور هناك،" قال الرّجل. "افتح الصنبور."

عاد الفتى بكأس الويسكي المخفّفة بالماء. تنحنح، ثم جلس إلى طاولة المطبخ أيضًا. ابتسم. لكنّه لم يحتسِ من كأسه شيئًا.

حدَّق الرجل بالتلفاز. أنهى كأسه الأولى وبدأ بالأخرى. مدّ الفتى يده ليضيء الأباجورة. وحينها أسقط سيجارته بين وسائد الأريكة.

نهضت الفتاة لتساعده في العثور عليها.

"ماذا قرّرتِ الآن؟" قال الفتى للفتاة.
ثمّ تناولَ دفتر شيكات، ووضع طرفه بين شفتيه. بدا كأنّه يفكّر بجديّة.
"أريد الطاولة،" قالت الفتاة. "كم تريد مالًا مقابلها؟"
لوّح الرّجل بيده مجيبًا على ذاك السؤال الأخرق.
"سَمّي ثمناً،" قال.
ثم راح ينظر إليهما بينما يجلسان إلى الطاولة. في ضوء الأباجورة، ثمّة أمرٌ غامض يعتلي وجهيهما. أكان أمرًا طيّبًا أم شرّيرًا، لا شيء يؤكّد أو ينفي.

"سأغلق هذا التلفاز وأدير أسطوانة في المسجّلة،" قال الرّجل. "هذه المسجّلة ستذهب معكما أيضًا. رخيصة. اعرِضا سعرًا."
ثم سكب مزيدًا من الويسكي، وفتح علبة بيرة.
"كل شيء يمضي،" قال الرّجل.
مدت الفتاة كأسها نحوه، صبّ الويسكي لها.
"شكراً لك،" قالت الفتاة. "أنت لطيف جدًّا."
"الشّراب يسلب العقل،" قال الفتى. "وقد سلب عقلي." رفع كأسه، ورجّها.
أنهى الرّجل كأسه وسكب أُخرى، ثمّ عثر على صندوق الكرتون الذي يحوي الأسطوانات.
"انتقي إحداها،" قال الرّجل للفتاة، بينما يمدّ لها الصندوق.
في تلك الأثناء كان الفتى يكتب شيكاً.
"هاك،" قالت الفتاة، بينما تناولت إحدى الأسطوانات الموسيقيّة،

اختارتها عشوائيًا، لأنها لم تميّز أيًا من عناوين الأقراص. ثم نهضت من مكانها عند الطاولة، وعادت جالسة. لا ترغب في البقاء ساكنة.
"سأحرّر شيكاً لحامله، يُصرف نقداً،" قال الفتى.
"لا بأس،" قال الرّجل.
شَربوا. استمعوا إلى الأسطوانة كاملة. ثم أدار الرّجل أسطوانة أخرى.
"لِمَ لا ترقصان أيّها الصّبية؟" قرّر الرّجل أن يسألهما. ثمّ سألهما: "لِمَ لا ترقصان؟"
"لا أظن أننا سنفعل،" قال الفتى.
"انطلقا،" قال الرّجل. "يمكنكما الرقص. إنّه فناء منزلي. يمكنكما الرقص إن أردتما."

تشابكت الأذرع، وتحاضنت الأجساد. تحرّك الفتى والفتاة عند مدخل المرآب جيئة وذهابًا، إنّهما يرقصان. وعندما انتهت الأسطوانة، عاودا الكرّة. وعندما انتهيا هذه المرّة أيضًا، قال الفتى: "لقد ثملت."
"لست ثملًا،" قالت الفتاة.
"فعلاً، لقد سكرت،" قال الفتى.
أدار الرّجل الأسطوانة على وجهها الآخر، بينما ردّد الفتى: "أنا سكران."
"راقصني،" قالت الفتاة للفتى، ثم كرّرته للرّجل. لهذا، عندما انتصب الرّجل واقفًا، خفّت إليه بذراعين مفتوحين على وسعهما.

"أولئك الناس، هناك، يشاهدوننا،" قالت الفتاة.
"لا بأس، هذا منزلي،" قال الرّجل.

"إذن دعهم يشاهدون!" قالت الفتاة.

"هذا صحيح،" قال الرّجل. "يظنّون أنّهم رأوا كل شيء هنا، لكنهم لم يروا هذا، هل رأوه؟"

ثمّ شعر بأنفاسها على رقبته.

"أتمنى أن يروق لك سريرك" قال لها.

أغمضت الفتاة ثم فتحت عينيها. دسّت وجهها في كتف الرّجل، وسحبته نحوها أكثر.

"لابدّ أنّك يائس، أو شيء من ذاك القبيل."

بعد أسابيع، قالت الفتاة: "كان رجلاً في منتصف العمر، كل ما ملك كان هناك في فناء منزله، صِدقًا. لقد ثملنا ورقصنا في فناء المنزل، يا إلهي، لا تضحكوا منّا. لقد أدار تلك الأسطوانات. وانظروا إلى المسجّلة، لقد أعطانا إيّاها ذلك الرجل العجوز مع تلك الأسطوانات التافهة. هلّا نظرتم إلى تلك الخردة المقرفة؟!"

واصلَت حديثها، تخبر الجميع عمّا حدث. لكنّ هناك أمرًا لا يرونه، واستمرت تحاول أن تريهم إيّاه. وبعد بُرهة من الزّمن، يئست من المحاولة.

عدسة الكاميرا

جاء بباب منزلي رجل دون يدين، يودّ بيعي صورة فوتوغرافيّة التقطها لمنزلي. وفيما عدا الخُطّافتين المعدنيّتين اللتين حلّتا محلّ يديه، كان ذا مظهرٍ اعتيادي، رجلٌ ناهز العقد السادس من عمره.

"كيف فقدت يديك؟" سألته بعدما أعلمني مُرادَه.

"تلك حكاية أخرى،" قال. "هل تريد هذه الصورة أم لا؟"

"أدخُل،"، قلتُ. " أعددت القَهْوة توًّا."

أعددت أيضًا بعض حلوى الجيلي، لكني لم أخبر الرّجل بذلك.

"لعلّي أستعمل حمّامك،" قال الرّجل الذي دون يدين.

أردت أن أراه كيف سيُمسك الكوب.

أعرفه كيف يُمسك الكاميرا. لقد كانت من نوع بولارويد قديمة، سوداء كبيرة، مربوطة بحزام جلدي يلتف حول كتفيه عبر ظهره، بهذه الطريقة يحفظ الكاميرا على صدره. ثم يموضع نفسه في الطريق أمام منزلك، يضبط نحوه عدسة الكاميرا، ثم يدفع للأسفل الحزام الجلديّ بإحدى خطّافتيه، ولسوف تخرج الصورة من الكاميرا أمامك. كنت ألحظ ما يجري من النافذة، كما ترى.

"قلت لي أين يقع الحمام؟"

"هناك، دُر إلى يمينك."

راح يقوّس ظهره وينثني ليتحرّر من أحزمة الكاميرا. ثمّ وضعها على الأريكة وراح يسوّي معطفه.

"يمكنك تأمّل هذه أثناء غيابي."

تناولتُ الصّورة منه.

أظهرت الصورة مُربّعًا صغيرًا أخضر من العُشب، وطريق المرآب، والمرآب، وسلّم مدخل المنزل، والمشربيّة، ونافذة المطبخ التي أطلُّ منها. لِمَ أودّ فوتوغرافًا لهذه المأساة؟

تفحصتها مجدداً، ورأيت فيها رأسي، نعم رأسي، هناك مُطلًّا من نافذة المطبخ.

رؤيتي نفسي على تلك الشّاكلة دفعتني للتّفكير. أقول لك، ذاك أمرٌ يدفع أيّ رجل للتفكير حقًّا.

سمعت صوت مياه مجرور الحمّام. ثم خرجَ يسير عبر الممر مبتسمًا يُغلق سحاب بنطاله. ثم راح بإحدى الخطافتين المعدنيتين حمل حزامه، وبالأخرى دس طرف قميصه تحت البِنطال.

"ما رأيك؟" سألني.

"حسناً،" قلت. "شخصياً أرى ميزتها في أنها مُرتَجَلة، لم أتصنّعها، لنقل إنها عمل احترافي."

حكّ أسفل بطنه. قطعتُ حديثي معه بدعوته لشرب القهوة.

"أنت هنا وحدك، صحيح؟!" سألني. نظر نحو غرفة النوم، ثم هزّ رأسه قائلاً "هذه عيشةٌ شاقة، شاقة جداً."

جلس قرب الكاميرا، مطّ ظهره، ثم تنهّد مبتسماً، كأنما يُخفي سراً آثر

كتمانه.

"اشرب القَهْوة" قلت له.

حينها لم أكن لأجد شيئًا للحديث عنه.

"ثَمّة ثلاثة صبية عرضوا عليّ كتابة عُنْوَاني على رصيف شارع منزلي مقابل دولار واحد، لعلك تعلم شيئًا عن ذلك؟"

كانت طويلة تلك الرشفة التي ارتشفها، لكني تابعت النظر إليه دون حراك.

انحنى إلى الأمام وراح يوازن كوبه بالخُطّافتين حتى وضعه على الطاولة.

"أناضل وحيداً في هذه الحياة،" قال. "هكذا كنت دومًا، وهكذا سأظل. فما هو قرارك الآن؟"

"كنت أحاول أن أفتح موضوعًا ما معك!" أجبته.

كنت أشعر بصداع لن تزيله القَهْوة. ربما شيء من حلوى الجيلي قد يفيد. ثمّ تناولت الصورة

"كنت في المطبخ حين التقطتَ الصورة،" قال. "عادةً ما أكون هناك في الخلف."

"كالمعتاد، تركوك وحدك، أهذا ما حدث؟" قال. "والآن ها أنا أمامك، مثالٌ آخر، أناضل وحيداً. فما هو قرارك؟ هل تودّ اقتناء الصورة؟"

"سآخذها،" أجبته.

وقفت وحملت الأكواب.

"بالتأكيد ستأخذها،" قال لي. "إنّي أسكن غرفةً في وسط المدينة، إنّها غرفة مناسبة، وأتنقل بالحافلات، وبعد أن أكدّ في أحياء المدينة

أنتقل إلى مدينة أخرى. هل تُدرك مغزى كلامي؟ يا هذا، يوماً ما كان لي أبناء مثلك."

الأكواب في يديّ. توقفت أتابع إنفِعالاته على الأَرِيكَة.

"لقد أهدوني هاتين الخُطَّافتين،" قال.

حدّقتُ في الخُطَّافتين.

"إنّي ممتنّ لك، فقد قدّمت لي القَهوة وسمحت لي باستخدام الحَمّام. إنّي أتعاطف معك."

"أرِني،" قلت له. "أرِني كيف ستلتقط صوراً أخرى لي ولمنزلي".

"لن ينجح الأمر هكذا، فمن غادروك لن يعودوا إليك،" قال.

ساعدته على ارتداء حزام الكاميرا.

"أستطيع أن أقدّم لك عرضًا" قال. "ثلاث صور مقابل دولار واحد". ثمّ تابَع "لو طلبت أن أخفض السعر، فلن أقبل بذلك."

خرجنا إلى فناء المنزل. راح يضبط عدسة الكاميرا، ثم أرشدني إلى حيث يتعين عليّ الوقوف، وبدأ الأمر يأخذ منحىً جاداً. طُفنا محيط المنزل الخارجيّ بترتيب ونظام لالتقاط الصور.

يصوّرني تصويرًا جانبيًا حينًا وأماميًا حينًا آخر. "جيد،" قال. "هذا جيّد، لقد طفنا المنزل، وها نحن نعود من حيث بدأنا أمام المدخل، التقطتُ اثنتي عشرة صورة، هذا يكفي."

"لا،" اعترضت. "سأصعد سطح المنزل."

"يا رب!" صاح.

راح يتفقّد إن كان أحد ما في الجوار. "حسنٌ" قال لي، "الآن بات الأمر مُثيرًا للغاية".

"ما بعد الفقد فقد،" قلت له. "رحلوا في طرفة عين."
"انظر إلى هذه!" صاح بي، ورفع خُطّافتيه.

أحضرت كرسياً من داخل البيت، وضعته تحت المرآب، لكني لم أستطع أن أصعد سطحه، فجئت بقفص بلاستيكي ووضعته فوق الكرسي، تمكنت حينها من الصعود. وقفت على سطح العليّة ناظراً حولي.
لوّحت له، ولوح لي ذو الخُطّافتين.
حصوات في العُليّة تراكمت قرب فوّهة المدخنة. أولئك الأطفال يلهون برمي الحجارة لتعبر فوهة المدخنة نحو مدفأة المنزل.
"هل أنت جاهز؟" صحت به.
تناولتُ حجراً، وانتظرت ريثما يضبط عدسته.
"جاهز،" أجابني.
أرجعت ذراعي للخلف ثمّ صحتُ به "الآن!"
قذفتُ الحجرَ اللعين بكُلّ ما وسعني من قوّة.
"لا أجيد ذلك" صاح بي. "لا أجيد التقاط الصّور المتحرّكة".

"لنحاول مجدّدًا!" صحتُ به، والتقطتُ حجرًا آخر.

أبو القهوة وأبو التّضليح

شَهدتُ بعض الأمور. كنتُ ذاهباً في زيارة مفاجئة إلى بيت أمي كي أقضي عندها بضع ليال. بمجرّد وقوفي على قمّة الدرج المُفضي إلى باب منزلها الأماميّ، أبصرتها تجلس على الأريكة تُقبّل رجلاً. كُنّا في الصّيف وقد تُرك الباب مُشرعاً والتلفاز مُداراً. من بين أمورٍ كثيرة شهدتها، ذاك كان أحدها.

تبلغ أمي الخامسة والستين من عمرها حينها، وهي عضوة في نادٍ للعُزّاب. رغم ذلك، شقّ الأمرُ عليّ، فقد تصلّبتُ مكاني بينما يداي تقبضان دَرَابزين الدرج. شهدتُ الرّجل يقبّلها، وهي تقبّله بدورها، بينما التلفاز مُدار.

الأمور تحسّنت الآن عن ما كانت عليه في تلك الأيام؛ حينها كنت متبطّلًا. أطفالي معتوهون، وزوجتي معتوهة أيضًا. ولاحقاً علمت أن زوجتي، هي الأخرى، لها عشيقٌ تُعاشره.

عشيق زوجتي مهندس فضاء متبطّل أيضًا، تعرّفَت عليه في جمعيّة العلاج من إدمان الكحول، معتوه هو الآخر، اسمه روس، وهو أبٌّ لستّة أطفال، يسير بعَرَجٍ خَفيف بسبب زوجته الأولى التي أطلقت النار عليه. لا أعلم كيف كُنّا نفكّر في تلك الأيام!

أما زوجته الثانية فقصته معها بدأت وانتهت بسلام. لكنها زوجته الأولى هي التي أطلقت عليه الرصاص لأنه تخلّف عن دفع فواتيرها. روس! يا له من اسم! أتمنى له الخير الآن... في ذلك الوقت كان وقع الأمر مختلفاً، فقد أفصحتُ لزوجتي عن رغبتي في اقتناء مسدس، حدثتها آنذاك عن عزمي الذهاب إلى متجر سميث آند ويسون لبيع المسدسات والبنادق، لكنّي لم أفعل.

سأخبركم عن روس. إنّه رجل ضئيل البنية، أو لنقل دون المتوسّط، ذو شارب وقميص ذي ياقة. اعتاد إحكام تزرير قميصه. سُجنَ مرّة بسبب قضيّة أُسَرِيّة، وكانت صاحبة الدّعوى هي زوجته الثانية. هذا ما حدثتني به ابنتي. علمتُ منها أيضًا أن زوجتي دفعت كفالة خروجه من السّجن.

شعرَت ابنتي، ميلودي، بالاستياء جرّاء تصرّف أمها ذاك، فهي لم تعبأ بحالتنا المادية المُتردية، ولم تُراعِ مشاعرنا نحن الاثنين. لقد كان مبلغاً مالياً كبيراً ذاك الذي دفعته زوجتي لإخراج روس من السجن، لقد كُنّا أَولى بالمال منه، وهذا ما دفع ميلودي إلى القول إنها لا تُحبّ عشيق أمها روس، وأخبرتني كذلك أنّها لا تحبّ أبناءه الكُثر. لكن، بشكل عام، تقول ميلودي إن روس لا بأس به.

وحتى أنّه قرأ لها الطّالع مرّة.

يقضي روس هذا جُلّ وقته في إصلاح الأشياء منذ أن فقد وظيفته النظاميّة. ذات مرّة رأيت فناء منزله حيث الفوضى العارمة تسود المكان، تجدُ الخُردَوات أينما اتجهت، وثمّة سيارتان من نوع بليموث تقبعان في الفناء. أذكر أن زوجتي في بداية علاقتهما ادّعت أنّ روس

مهتمٌّ بجمع السيارات الكلاسيكيّة، كان هذا وصفها: "السيارات الكلاسيكيّة"، لكنها لم تكن سوى قطع سيارات مُهْتَرِئة.
إنّ لديّ رقم هاتفه، أبُو التّصْليح هذا!
ورغم ما سبق، أرى أنّي وروس نشترك في جوانب أخرى غير كوننا نتقاسم المرأة نفسها، على سبيل المثال: كلانا لم يستطع إصلاح التلفاز عندما يعاندنا مُكتفياً يبثّ صوت دون صورة، لذا يعمَد واحدنا إن أراد متابعة نشرة الأخبار إلى الجلوس أمام الشّاشة مرغمًا للاستماع لصوت المُذِيع فقط.
حكاية روس مع زوجتي ميرنا بدأت عندما كانت ميرنا تحاول التخلّص من إدمانها الخمر. أودُّ القول إنها انتظمت في جلسات العلاج الجماعيّة من ثلاث إلى أربع مرّات أسبوعيًّا. كانت لي محاولات للإقلاع مثلها، لكنّي سرعان ما أعود إلى الشّراب. حينما التقيا بعضهما، ميرنا وروس، في جلسة معالجة الإدمان، لم أكن معهما، كنت آنذاك مخموراً أهيم خارج المنزل. بعد انتهاء الجلسة رافقَت أبو التّصْليح إلى منزله لتطبخ له وتنظف بيته. لم يكن أحد ليهتمّ بأمر أبو التّصْليح، حتى أبناءه تقاعسوا عن أداء الأعمال المنزليّة، لم يكونوا يحرّكوا ساكناً في منزل أبو التّصْليح، زوجتي هي من تولّت خدمتهم.

توالت الأمور السابقة جميعها في الحدوث خلال وقتٍ قريب، في السنوات الثلاث الماضية، بدايتها كانت في مثل هذه الأيام.
أمّا أمي فتركتُها مع ذلك الرجل على تلك الأريكة، وقُدت سيارتي دون وجهة هائماً في الشوارع. وحينما وصلت البيت، همّت ميرنا في إعداد فنجان قهوتي، قصدتَ المطبخ لتحضّرها. انتظرتُها، بينما سمعي

مُرسَل نحو صوت غليان القهوة، ثم دسستُ يدي في الأريكة وأخرجتُ زجاجتي المخبأة من الشراب.

أعتقدُ أن ميرنا أحبّت الرّجل فعلاً، رغم أنه على علاقة سريّة بفتاة أخرى تبلغ اثنين وعشرين ربيعاً، اسمها بفرلي. على كل حال، أبو التّضليح يُعدّ محظوظًا بالنسبة لشخصٍ قصيرٍ يرتدي قميصاً ذا ياقة رفيعة.

تردّت أحواله في منتصف الثلاثين، فقدَ وظيفته ومضى في طريق الشّراب. كنت أسخر منه كلّما سنحت لي الفُرْصَة، لكنّي لا أسخر منه الآن، بارك الله في أبُو التَضْليح وأدام ظِلّه!

أخبر أبو التّضليح ميلودي أنه عمل في أحد برامج اكتشاف سطح القمر، وأعلمها أنّ له صداقات مع روّاد فضاء، كما عرض عليها أن يقدمها لأصدقائه أولئك حالما يزورون المدينة.

الفضاء هو تقليعة جديدة تلك الأيام، لقد سبق أن رأيت وكالة الفضاء حيث عمل أبو التّضليح: ثمّة كافتيريات يصطف فيها الناس، وقاعات لكبار الشخصيّات وما إلى ذلك.

في الوكالة هناك رجل مثلي، "أبو قهوة" في كلّ مكتب، ومقابل كلّ أبو قهوة ثمّة أبو تضليح!

تقول ميرينا أنّ أبو التّضليح مهتمٌّ بعلم الروحانيات، وهي في رأيي مجرّد هرطقات. لا شكّ أنّ روس هو رجل خلّاب حالَ بقيّة أصدقائنا القدامى، قلت لميرنا إنني متأكد من أنها لم تكن لتعبأ به لو كان شخصًا عاديًا.

مضت ثمان سنوات على موت والدي مخموراً أثناء نومه، وقد ناهز

الرابعة والخمسين من عمره. كان عائدًا للتوّ من عمله في المنجرة خلال منتصف ظهيرة يوم جُمعة. أخرجَ من الثلاجة بعض السّجق المثلّج المخصّص للفطور، واحتسى كأساً من بيرة فور روزز.

كانت أمي حينها في المطبخ، وعلى الطاولة نفسها كانت تحاول كتابة رسالة لأختها في مدينة ليتل روك. وعندما انتهى أبي صعد إلى فراشه. تقول أمي إنه لم يتمنّ لها ليلة هانئة، علماً أنّ الوقت كان نهارًا بالطبع.

"يا حلوتي" قلت لميرنا خلال الليلة التي عادت فيها إلى المنزل. "لنتعانق، وبعدها حضّري لنا عشاءً شهيًّا جدًّا!"

قالت ميرنا "اغسل يديك".

خيمة المناسبات

هذا الصّباح، كانت تسكب شراب تيتشرز[1] على بطني وتلعقه، وذاك المساء حاولَت القفز من النافذة.

لطالما رجوتُها، "هولي، لا قُدرة لي على تحمّل المزيد، هذه التصرفات يجب أن تتوقف."

كنا في غرفتنا الكائنة بالدور العلويّ، جالسين على الأريكة. اخترنا هذه الغرفة -دون غرف فندقنا الخاوية- لمساحتها الواسعة، حيث يتاح لنا فيها الحديث والحركة بيُسر. صعدنا إلى هذه الغرفة بعد أن أقفلنا مكتب الاستقبال صباحاً، وأمضينا اليوم فيها.

"دووين، هذا سيقتلني،" قالت هولي.

نشرب تيتشرز ممزوجاً بالماء ومكعّبات الثلج. كنّا قد خلدنا للنوم قليلاً بين الصباح والظهيرة، ثمّ استيقظتُ لأجدها نهضت عن السرير وتهدّدني برمي نفسها من النافذة مرتديةً ثيابها الداخلية فقط. تمكّنتُ من تثبيتها. رغم أننا في الطابق الثاني وحسب، لكن، ولو كان.

"كثيرٌ عليّ ذلك،" قالت. "لا أستطيع أن أحتمل أكثر."

---

(1) تيتشرز هي علامة تجارية لأحد أنواع الويسكي الأسكوتلندي Teacher's -وتعني حرفيًا المُدرّس- ونشير هنا إلى معنىً أعمق قصده كارفر وهو حاجة الشخصيات إلى أن تتعلّم درسًا، وأن تُعلّم الآخرين درسًا أيضًا. م.

تضع يدها على خدها وتُغمض عينيها، وتهزّ رأسها للإمام والخلف مُصدرةً طنيناً خافتاً.

قد أموت عليها حسرةً لو بقيَت على هذه الحال.

"ماذا وراء كل هذا؟" سألتُها، رغم أنّي أعرف كلّ شيء.

"ليس علي أن أتهجّى ما حدث على مسامعك من جديد،" قالت. "لقد فقدتُ السيطرة على حياتي، لم أعد مُعتزّة بذاتي، لقد كنت امرأة تتباهى بنفسها."

إنها امرأةٌ جذّابة في الثلاثين من عمرها، طويلة القامة ولها شعر أسود طويل وعينين خضراوين، لا مثيل للون عينيها بين كل النساء اللاتي عرفتهن. اعتدتُ التغزّل بعينيها الخضراوين في سابق عهدنا، وكانت ترد على تغزلي بأنها تدرك أنّها خُلقت لشيء مميز بسبب عينيها.

وكأنني لم أعرف ذلك سلفًا!

أشعر بالخيبة من هذا الأمر أو ذاك.

أستطيع سماع رنين هاتف مكتب الاستقبال في الأسفل، إنّه يرن طوال الوقت، حتى في قيلولتي نائماً أسمعه، أفتح عيني ناظراً إلى سقف الغرفة مستمعاً إلى ذاك الرّنين، ثم أتساءل مستغرباً عمّا حصل لنا نحن الاثنين.

لربما يجدر بي النظر نحو الأرضيّة، لا السقف.

"انفطرَ قلبي"، تابعَت. "لقد استحال حجارةً مُفَتَّتة. لم أعد أنفع لشيء، وهذا ما هو أسوأ من كلّ شيء، لم أعد نافعة".

فأروحُ أرجوها "هولي".

حين انتقلنا إلى هنا كي ندير الفندق ونشغّله، ظننا أننا تركنا المتاعب

وراءنا وأن الحياة ستمضي دون مُنغّصات. إنّه سكنٌ مجانيّ، والمرافق مُتاحة لنا دون مقابل، ومكافأة شهرية تبلغ ثلاثمئة دولارا لا حال أفضل من هذا الحال.

هولي تدير حسابات الفندق، هي جيدة في التعامل مع الأرقام، كما كانت تؤجّر الغرَف للنزلاء. أحبّت الناس وأحبوها. أمّا أنا فكنت أنظف الأرضيات وأهذّب الحشائش وأغصان الأشجار. كما تعهّدتُ تنظيف بركة السباحة وبعض أعمال السباكة والصيانة البسيطة، استمرّ الوضع طيّبًا خلال العام الأوّل.

بالإضافة لعمل الفندق عملتُ بوظيفة مسائية، وكلانا يتطلّع إلى الغد، فقد رسمنا خطّة للمستقبل. لكن في صباح يوم ما، لا أعلم ما جرى، أنهَيتُ تصليح حمّام إحدى الغرف، وتصادف أن دخلت الخادمة المكسيكيّة، وينيتا، الغرفةَ لتنظيفها. بالمناسبة، هولي هي من وظّفت وينيتا، وبصراحة لم أنتبه للفتاة المكسيكية الصغيرة طوال فترة عملها معنا. أذكر مَرّة أنها نادتني "يا سيّد".

شيءٌ يقود لشيء آخر.

بعد تلك المصادفة الصباحية، بدأت عيناي في الانتباه إلى المكسيكيّة وتلاحظانها. كانت صغيرة ماهرة ذات أسنان بيضاء. داومتُ على النظر إلى فمها.

بدأت المكسيكية تناديني باسمي.

في صباح يوما ما، ذهبتُ كي أُصلِح صُنبور حمّام إحدى الغرف. دخلت المكسيكية الغرفة وأدارت التلفاز كعادة الخادمات عندما يُنظّفن. فتوقّفتُ عن إصلاح الصّنبور، وخرجتُ من الحمّام. تفاجأَت المكسيكية لرؤيتي، فتبسّمَت ونادتني باسمي.

وقد حدث ما حدث مباشرةً بعد أن دعتني إلى الاستلقاء على السرير.

"هولي، ستبقين دائماً تلك المرأة المعتدّة بنفسها" أُتابع رجائي لها. "ستبقين المرأة الأولى في حياتي، بالله عليك، هولي".

تهزّ رأسها.

"ثمّة شيءٌ مات في داخلي،" تقول. "انقضت فترة ليست بالقصيرة، وما زال ميتاً في داخلي، أنت من ذبحته، كأنك قتلته بفأس، آلَ كل شيء الآن إلى خراب".

تُنهي كأسها، ثم تبكي. أحاول أن احضنها، لكن ذلك لا يُجدي نفعاً.

أُعدّ كؤوس شرابٍ أخرى، وأنظر عبر النافذة.

سيارتان تحملان لوحات لولاية غير ولايتنا تقفان مقابل مكتب الاستقبال. السائقان يقفان أمام باب المكتب يتحدثان، أحدهما يُتِمّ حديثه للآخر، ثم ينظر في أرجاء الفندق واضعًا يده على ذقنه، كما كانت هناك امرأة ألصقت وجهها بزجاج باب مكتب الاستقبال، وأحاطت وجهها بكَفّيها كي ترى داخل المكتب، ثم حاولت فتح الباب.

الهاتف في الأسفل عاد إلى الرّنين.

"وحتى أنّك قبل مُدّة بسيطة، حين كنّا نتضاجع، كنتَ تفكّر فيها،" تابعَت هولي. "دووين، يا له من أمرٍ فظيع".

تتناول الكأس الذي أمدّه لها.

"هولي"، أرجوها.

"هذه هي الحقيقة دووين،" تتابع حديثها. "كفّ عن مجادلتي."

تمشي في الغرفة هنا وهناك بملابسها الداخلية حاملةً الكأس بيدها.

تتابع هولي، "لقد تعدّيتَ على رابط الزوجيّة، لقد قتلتَ ثقتي بك."

جثوت أرضًا على ركبتيّ، وبدأت أرجوها. لم يمنعني خضوعي من التفكير في وينيتا، لا أدري ما الذي حلّ بي أو ما حلّ بالعالم.

فأقول لها، "هولي، حبيبتي، أنا أحبك".

ثمّة ضجة أبواق سيارات في الأسفل، أصوات تتعالى ثم تصمت.

هولي تمسح دموعها، وتقول لي "حضّر لي كأسًا أخرى، لتكُن مخفّفةً بالماء، واتركهم يواصلون ضجيج الأبواق، لم يعد يهمني، سأرحل إلى نيفادا."

"لا ترحلي إلى نيفادا،" أقول لها. "هذا جُنون."

"ليس جنونًا،" تقول. "الرحيل إلى نيفادا لا يعدّ جنوناً، وبوسعك المكوث هنا مع الخادمة حبيبتك. إمّا أرحل إلى نيفادا أو أقتل نفسي."

تلطّفتُ قائلاً "هولي."

أجابتني "هولي انتهت، هي لا شيء."

تجلس على الأريكة، تضمّ ركبتيها حتى تمسّان ذقنها.

"حضّر لي كأساً أخرى يا ابن السّاقطة"، ثم واصلت قائلة "واللعنة على أولئك مُطلِقي الأبواق، فليذهبوا بقذاراتهم إلى فنادق ترافيل لودج، هل باتت عاملة التنظيف خاصّتك تعمل في التنظيف هناك؟ حضّر لي كأساً أخرى يا ابن السّاقطة "

مطّت شفتيها، وراحت ترمقني بنظرتها الخاصّة.

احتساء المشروب أمرٌ ممتع. بالنظر إلى الوراء، أعرفُ أنّنا توصّلنا إلى قراراتنا المصيريّة بينما كنا نشرب. حتى حين ناقشنا عزمنا الإقلاع عن الشراب، لم يعدم نقاشنا كؤوس الشراب، اعتدنا الشّرب على طاولة الطعام في المطبخ أو الطاولة البلاستيكية في الحديقة، بينما تحمل

الطاولة البيرة أو الويسكي، وحالما ينضبط مزاجنا مع الشراب، نذهب إلى مكتب الاستقبال كي نواصل العمل. أذكر ليالي الشّرب والقرارات التي كانت على بساط النقاش بينما نعدّد سلبياتها وإيجابياتها.

أسكبُ آخر القطرات من زجاجة التيتشرز في كأسَينا وأضيفُ مكعّبات ثلج وشيئًا من الماء.

تنهض هولي عن الأريكة، تتمدّد على السرير.

تواصل أسألتها، "هل فعلتها معها هنا على فراشنا؟"

لم تكن الإجابة حاضرة في ذهني، تلاشت كل الكلمات وشعرتُ بالخواء. ناولتها الكأس وجلستُ على الكرسي، شربتُ كأسي، ورُحتُ أفكّر، وكأنّ حياتنا لن تعود إلى سالف عهدها.

"دووين؟" تناديني.

"هولي؟"

نبضات قلبي تتباطأ.

أتمهّل، فهولي هي حبّ حياتي الحقيقي.

الجنس مع وينيتا كان يجري خمسة أيام في الأسبوع، ما بين الساعة العاشرة والحادية عشرة، نفعلها في أيّ غرفة أجدها فيها خلال أعمال التنظيف. ببساطة، كنت أتتبّعها إلى الغرفة وأوصد الباب ورائي.

لكننا، في أغلب الأحيان، كنّا نفعلها في الغرفة رقم 11، كانت الغرفة رقم 11 هي غرفة حظّنا.

كُنا لطيفَين مع بعضنا. رغم أن ذاك الشيء يتمّ سريعاً إلا أنّه ممتع.

أظنّ أن هولي كانت قد حدست شيئًا ما، كان عليها فقط أن تتبع حدسها.

كنت أعمل حينها في وظيفة مسائيّة جانبية، عملٌ سهل يستطيع القرود على بساطتهم القيام به. لكن الأوضاع هنا في الفندق كانت تتدهور سريعاً، كلانا ضاق صدره عن العمل.

توقّفتُ عن تنظيف حوض السباحة الذي امتلأ بالطحالب، فلم يعد الزبائن إلى استخدامه. كما توقّفتُ عن أعمال الصيانة والسباكة وصبغ الجدران المتقشرة. الحقيقة هي أننا نحن الاثنين نمضي وقتنا في طقطقة علب البيرة، علب بووز؛ بلذتها التي تدوم طويلاً هي الاختيار الأفضل للباحثين عن المتعة.

أهملَت هولي عملها الفندقيّ فلم تكن تسجّل المعلومات بدقّة. راحت تتقاضى أجرًا أعلى من بعض الزبائن، وأجرًا أدنى من زبائن آخرين، وأحياناً تضع ثلاثة زبائن في غرفة بسرير واحد، وأحياناً أخرى تضع زبوناً واحداً في غرفة بسرير مزدوج. لم تقف الشكاوى، والسبّ والشّتم في بعض الأوقات. هكذا، بمرور الوقت، هجرَ الزبائن فندقنا.

ثمّ استلمنا رسالة مبعوثة من الإدارة، ثم وصلتنا أخرى مختومة.

توالت علينا المكالمات الهاتفيّة، وجاء رجلٌ من المدينة ليتفقّدنا.

لكننا توقفنا عن الاهتمام بالعمل، تلك هي الحقيقة. عرفنا أنّ أيّامنا في الفندق باتت معدودة. لقد أفسدنا حياتنا وكنا مستعدين للزلزال القادم.

هولي امرأة ذكية، لقد تنبأت بهذا الحال قبلي.

يوم الأحد استيقظنا صباحاً بعد ليلة طويلة قضيناها في الثرثرة حول أحوالنا المتدهورة، فتحنا أعيننا على السرير نبحث عن شيء جميل قد يراه أحدنا في وجه الآخر، لقد وصلنا إلى حافة الهاوية، وفكرنا

كيف يمكن أن تكون لنا بدايةٌ جديدة.

قمنا من السرير، ارتدينا ملابسنا، شربنا القهوة، وعزمنا الحديث عن بداية جديدة، ودون شرحٍ للأسباب، لم تكن هناك مكالمات ولا زبائن. حسنًا، أخذتُ زجاجة تيتشرز، صعدنا إلى غرفتنا حاملين مكعبات الثلج والكؤوس، بدأنا بمشاهد التلفاز الملون، نمازح بعضنا، غير عابئين إن كان هناك هاتف سيرن في الأسفل. أمّا بخصوص تدبير الطعام، فقد أخذت معجنات الجبنة من مكينة البيع.

كنا نشعر وكأنّ أي شيء هو قابل للحدوث الآن لأننا أدركنا كلّ ما مرّ علينا.

"عندما كنا صغاراً قبل الزواج؟" قالت هولي. "ذاك الوقت الذي كنّا نحمل فيه خططًا وآمالًا عريضة؟ هل تذكر؟" كانت جالسة على السرير، تضمّ ركبتيها إليها، حاملة كأسها.

"أجل أتذكّر يا هولي."

"لم تكن أنت حبّي الأول، بل كان والت، تخيّل! لكنّي الآن مع دووين. والت أو دووين. من يعرف عدد الفرص التي ضيعتها خلال سنوات حياتي معك، طوال الوقت كنت أنت أمل حياتي[2] كما تقول الأغنية."

"هولي أنت امرأة رائعة،" قلت لها. "أعلم أن فرصاً عديدة كانت أمامك".

"لكنّي لم أستغل الفرص تلك" قالت. "أنا احترمتُ العلاقة الزوجية".

"هولي،" رجوتُها. "أرجوك، لا داعي لتكرار هذا الحديث، حلوتي، كفى تعذيباً لنفسينا، ماذا علينا أن نفعل للماضي؟"

(2) الأغنية الأجنبية هي You Were My Everything استبدلها المترجم بأغنية "أمل حياتي" لكوكب الشرق. م.

"اسمع،" قالت. "هل تذكُر عندما خرجنا في نزهة بالسيارة نحو المزارع، ذلك اليوم، خارج مدينة ياكامي قرب مرتفعات تريس؟ كنا نجول هناك بالسيارة، الطريق موحل، ومليء بالحصى، والجوّ حار. قصدنا ذلك البيت طَمَعًا في كأس ماء نشربها. أنت من سألتَ أهل البيت كأس الماء. تخيّل كيف كان حالنا آنذاك؟ نطلب الماء من أهل البيت، من الزوج والزوجة؟"

"لا بدّ أنهما قد ماتا الآن،" أكملت حديثها. "ودُفِنا في قبرين متجاورين، لقد دعانا الزّوج وزوجته لتناول الكعك، هل تذكر؟ ثم أخذانا في جولة حول البيت، كانت هناك خيمة مناسبات منصوبة، مظلّة دون حواجز، نُصبَت خلف البيت بجوار الأشجار، كان للخيمة رأس صغيرة، ألوانها بهتت، ونبتت الحشائش على أوتادها، حينها قالت المرأة: قبل سنوات، أقصد قبل سنوات طويلة، اعتاد الرّجال المجيء هنا لعزف الموسيقى، الناس كانت تأتي لتستمتع إليهم أسبوعيًّا أيّام الأحد".

"ظننتُ أننا سنُمسي مثل ذينك الزّوجين عندما نتقدم في السن، وَقورَين، ولنا مكاننا الجميل حيث يزورنا الضيوف."

لا أستطيع أن أجيبها بشكل فوري، لكنّي قلتُ بعدها "هولي، ألا ترين، سوف ننظر إلى وقتنا هذا لاحقًا لنقول ما قاله الزّوجَين. سوف يقول أحدنا للآخر: هل يعود إلى ذاكرتك ذاك الفندق ومسبحه المغطّى بالطحالب؟" ثمّ أتابع "هل ترين ما أرمي إليه يا هولي؟"

لكن هولي تجلس على السرير والكأس في يدها.

أستطيع إدراك أنّها لا تعي ما أقوله.

أنهضُ إلى النافذة وأنظر عبر النافذة من خلف الستارة. أحدهم في الأسفل يطرق باب مكتب الاستقبال، ويقول شيئاً. كنت أنتظر أقلّ

إشارة. أدعو الله من أجل أن تقوم هولي من مكانها. أدعو الله أن تعود هولي إليّ.

سمعتُ صوت محرّك سيّارة يُدار، ثمّ أخرى، وأخرى. اشتعلت أنوارها وراحت تسطع على واجهة الفندق؟ ثمّ، واحدة تلو الأخرى، انسحبت السيّارات وراحت ناحية الطريق العام.

"دووين" تقول هولي.

... وفي هذا، أيضًا، هي مُحقّة.

أستطيع رؤية الأشياء الصغيرة

كنت على السرير حينما سمعت صوت البوّابة، أنصتُّ بعناية.

لم أسمع شيئاً آخر غير ما سمعت، حاولت إيقاظ كليف، كان غارقاً في النوم، لذا قمت أنظر، البدر يطلّ على المرتفعات ونوره يضيء المدينة، كان بدراً أبيض تخطه ندبات.

وكأن وجه إنسان رُسِم عليه.

نور القمر السّاطع كشف ساحة منزلنا: الكراسي الخارجية، والشجيرات، وحبل الغسيل المشدود بين الأعمدة، وزهور البتونيا، والأسوار، بينما بوّابة المنزل الخارجية مفتوحة على مصراعيها.

المكان ساكن بلا حركة، ولا ظلال مخيفة، نور البدر طال كل شيء، فبات بإمكاني رؤية الأشياء الصغيرة، حتى ملاقط الغسيل -على سبيل المثال- فوق الثياب المعلقة.

وضعت يدي على زجاج النافذة لأحجب نور البدر، حاولت حجبه أكثر بيدي مرة أخرى، ثم أرسلت سمعي إلى ما يجري في الخارج، بعدها عدت إلى السرير، لكنّي عجزت عن النوم، تقلبت على الفراش، كان ذهني مشغولاً بالبوابة المفتوحة.

كليف يتنفس بصوتٍ مقرف: فمه مفتوح، ويحضن صدره بذراعيه،

وكان يحتلّ أجزاءً من مكاني على الفراش.
دفعته، لم يتزحزح.
حاولت حتى تيقنت ألّا أمل من تحريكه. لَبستُ الخُفَّ، وذهبتُ إلى المطبخ كي أعدَّ كوباً من الشاي، جلست على طاولة الطعام، ودخنت إحدى سجائر كليف.
الوقت كان متأخراً، لا أود النظر إلى الساعة، شربت كوب الشاي، ودخنت سيجارة أخرى، ثم قررت الخروج لإغلاق البوابة الخارجية. لذا لبست معطف النوم.
البدر ينير الأرجاء: البيت والأشجار والأعمدة وأَسْلاك الكهرباء، إنّه ينير العالم كله. أرسلتُ نظرة نحو الساحة الخلفيّة قبل أن أخطو في رواق البيت، نسمات من الهواء البارد جعلتني أُحكِم إغلاق معطف النوم.
مشيت نحو البوابة.

ضجيج يصدُر بالقرب من سور جارنا سام لاتوين. دقّقت النظر. كان سام يستند بذراعه على سور منزله. ضُرِبَ بيننا بِسُورين. يخرج من صدره سعال جاف.
"طبتِ مساءً نانسي،" قال سام.
"سام! لقد أخفتني!"
"ماذا تفعلين هنا في هذا الوقت؟!" سألني.
"سمعت صوت بوّابتنا تُفتَح،" أجبته.
"لم أسمع شيئاً، ولم أرَ شيئاً، لعلّ الرياح فتحتها"
كان يعلك شيئاً، نظر نحو البوّابة ورفع كتفيه.

بدى شعره مغموراً باللون الفضي تحت نور القمر ومنتصباً فوق رأسه. يمكنني رؤية أنفه الطويل، والتجاعيد على وجهه الحزين. اقتربت من سور البيت. "ما الذي تفعله الآن يا سام؟" سألته.

"أبحث عن شيء ما"، قال.

"سآتي ناحيتك،" قلتُ.

منحت نفسي الفرصة. سرت بمحاذاة سور البيت، أجد نفسي مضحكة وأنا بملابس النوم الداخلية يغطيها المعطف، قلت في نفسي لا بدّ أنّي سأتذكّر هذا الموقف دائماً، السّير خارجاً بهذه الملابس. توقف سام بمحاذاتي من جهة سور منزله، بيجامة نومه القصيرة تُظهر نعله الأبيض البنيّ، كان يحمل مصباحاً بيد، وبالأخرى عُلبة.

كليف وسام كانا صديقين، وفي أحد الأيام ثملا، فتبادلا الشتائم، بعدها قام سام ببناء سور يفصل بيته عن بيتنا، وكليف هو الآخر بنى سوراً إضافياً من جهتنا يفصل بيتنا عن بيته.

كان ذلك بعد أن فقد سام زوجته الأولى ميلي، ثم تزوج امرةً أخرى، وصار أباً مرة أخرى، كل ذلك حدث بين ليلة وضحاها، الراحلة ميلي كانت صديقة مقربة حتى توفيت في الخامسة والأربعين من عمرها، توفيت إثر سكتة قلبية، أصابتها عند مدخل البيت، لحظتها صدمت بسيارتها مرآب بيتهم.

"انظري إلى هذا"، قال سام.

رفع بيجامته ونزل نحو الأرض، ثم وجّه مصباحه نحو شيء ما. نظرت فوجدت دودة تزحف على مرتفع من الرمل. قال "حشرة البُزاق، للتو رششتها بهذا المبيد". كان يحمل في يده علبة مبيدات

يخيل لي أنها من نوع أجاكس. قال "الحشرة تحاول المقاومة". يكلمني بينما يمضغ شيئاً في فمه. بصقَه. قد يكون تبغاً. أكمل كلامه "لذا علي أن أضع الحشرة في هذه القارورة، لضمان موتها". وجّه المصباح نحو القارورة التي يحملها، كانت ممتلئة بحشرات البزاق، قال "أضع لهم الطعم، وكل فترة آتي كي أرى، موت البُزاق جزاءٌ لجرائمهم، انظري داخل القَارُورَة".

نهض من مكانه. أمسك يدي وسار بي نحو شجيرات الورد. أراني ثقوباً صغيرة في أوراقها، علَّقَ قائلاً "حشرة البُزاق". ثم تابع "سرت بالمبيد في كل محيط الحديقة، أضع الطُّعْم، ثم أعود كي أرى النتيجة، كم هي سيئة هذه الحشرات، لدي قَارُورَةٌ مَمْلُوءة بالبُزاق".

ثم سطع بضوء المصباح ناحية أغصان شُجَيْرَات الورد.

طائرة رُكّاب تُحلّق فوقنا، أتخيّل الناس فيها جالسين إلى مقاعدهم رابطين أحزمتهم، بعضهم يقرأ، وبعضهم الآخر يحدّق نحو الأسفل. سألتُ سام "كيف حال الجميع؟ هل هم بخير؟" رفع كتفيه وأجاب "هم بخير". سألني وشيئاً ما في فمه يمضغه "كيف حال كليف؟". أجبته "هو كالمعتاد".

حدّثني قائلاً "بعض الأحيان، وأنا هنا، خلف حشرات البزاق، أتمنى أن يعود كليف صديقاً مرة أخرى". أخذ نفساً عميقاً، وتابع "انظري الآن، هذه حشرة بزاق أخرى، هنا، حيث أشير بضوء المصباح". مدّ عصاه نحو الحشرة اللاصقة بغصن شُجَيْرَة الورد، قال لي "انظري الآن". وضعتُ يدي على صدري، انحنيتُ حيث يشير بالضوء، الشيء الصغير توقّف عن الحركة وراح يحرّك رأسه يمنة ويُسرة، ثم رشّها بمسحوق المبيد. قال سام "مُقرِفة". حمل الحشرة بمِجْرفة صغيرة

ووضعها في القارورة.

قال "لقد أقلعتُ عن التدخين". واصل قائلًا "منذ فترة توقّفت حشرات البزاق عن الظهور، ثم عادت، لا أعلم من أين تأتي! وما زلت أكافحها حول البيت، هذا كل ما يمكنني فعله".

أومأتُ برأسي.

نظرَ نحوي. أطال النظر.

"يتعيّن عليّ العودة إلى بيتي،" قلت له.

"بالتأكيد، أنا سأكمل عملي هذا، وحين أنتهي سأعود إلى بيتي أيضًا،" قال.

"مساء جميل أتمناه لك يا سام" ودّعتُه.

"اسمعي،" قال. توقّف عن علك ما في فمه، وأكمل "بلّغي كليف تحيّاتي".

قلت "سأبلغه يا سام".

سرّحَ سام شعره الفضي بيده، كأنه يود أن يسوّيه، ثم استدرك ولوّح مودّعًا.

في غرفة النوم، نزعتُ المعطف وطويته، ثمّ وضعته في مكان قريب منّي. تأكّدتُ من أنّ منبّه السّاعة مُدار، تجنّبتُ النظر إلى عقاربها.

دخلتُ فراشي، سحبتُ اللحاف، وأغمضتُ عينيَّ.

فتحتُ عينيَّ، واضطجعت هناك، نقرت كليف لينزاح، مسح فمه، ثم بلع ريقه، كحّ، ثم مسح ما سال من لعابه عن صدره.

لا أعلم كيف، لكن مرأى كليف دفعني للتفكير في الحشرات التي يرشها سام بالمبيد!

فكّرتُ لحظةً في العالم خارج هذا البيت، ولم تكن في بالي فكرة أكثر إلحاحاً من فكرة الاستعجال في النوم.

الأكياس

يومٌ رطب في شهر أكتوبر. من غرفتي الفندقيّة أستطيع رؤية معظم هذه المدينة من مدن الغرب الأوسط، أرى أضواءً قادمة من بعض البنايات، ودخانًا يتصاعد في ممرّات نحو السماء، ليتني لم أرَ هذا المنظر.

أريد أن أخبرك بحكاية قصّها عليّ أبي، عندما توقّفتُ مؤقّتاً في مدينة ساكرامنتو العام الفائت. الحكاية تتعلق بأحداث وقعت قبل سنة من طلاق والِدَيّ.

أعمل بائع كتب، وأتمتع بقدرة على التنظيم في عملي. كنا قد أصدرنا كتاباً جديداً في شيكاغو مقر الشركة، وبصفتي المسؤول عن مبيعات ولاية إلينوي وأجزاء من ولاية آيوا ومناطق من ولاية ويسكونسن، دُعيتُ لحضور مؤتمر جمعية ناشري الكتاب الغربي في مدينة لوس آنجلوس، خطر لي وقتها رؤية أبي بعضَ الوقت، خصوصاً أنّي لم أره منذ حادثة الطلاق، هل تفهم؟ لذا تناولت عنوانه من محفظتي واتصلت به هاتفياً. في اليوم التالي أرسلتُ أغراضي إلى مدينة شيكاغو وحللت في مطار ساكرامنتو.

تطلَّبَ الأمر منّي دقيقة كي أميّزه، كان يقف حيث الناس تنتظر عند البوّابة، بشعره الأبيض، ونظّارته، ويرتدي بنطلوناً بُنيًّا ماركة سات برست.

قلت له "أبي، كيف حالك؟"

ردّ "ليز".

تصافحنا ثم مضينا نحو صالة المطار.

"كيف هي ماري وما حال الأطفال؟" سألني.

"كل شيء جيّد،" أجبته، ولم تكن تلك الحقيقة.

فتح كيس حلويات أبيض، وقال "أحضرت شيئاً بسيطاً لعلّك تأخذه معك حين تعود إليهم، ليس بالكثير، بعض حلوى اللوز لماري، وبعضاً من حبيبات الجيلي للأطفال"

"شكراً" قلت.

"لا تنس حملها معك وأنت ذاهب" قال.

تنحّينا جانباً كي نسمح بمرور مجموعة من الرّاهبات سرنَ مسرعات للحاق بموعد رحلتهن.

"أتودّ تناول الشراب أم كوب قهوة؟" سألته.

"كما تشاء، لكنّي لا أملك سيّارة" قلت.

جلسنا في مقهى صالة المطار، طلبنا شرابًا، ودخنّا السجائر.

"ها نحن إذن الآن،" قلت له.

"بالتأكيد" قال.

أسندتُ ظهري، وأخذتُ نفساً عميقاً من هواء الحزن الذي رأيته يحيط برأسه.

"أظُنُّ أن مطار شيكاغو أكبر من هذا المطار بأربع مرات" قال.

"بل أكبر!" قلت له.

"تصورته ضخماً" قال.

"منذ متى ترتدي النظارات؟" سألته.

"مضت فترة على ذلك،" أجاب.

أخذ شهقة طويلة ثم نفث زفيراً، قال "ليتني متّ ولم يجرِ ما جرى".

احتضن كأسه بكفّيه الثقيلتين، ثم قال "أنت رجل متعلّمٌ يا ليز، ستتفهم الأمر".

أدرتُ منفضة السجائر، نظرتُ إليها وقد كُتب على جانبها اسم المقهى، وعنوانه، وعبارة: أفضل مكان للشعور بالمتعة.

"كانت بائعة لدى شركة ستانلي للعدَدْ اليدويّة،" قال. "امرأة ضئيلة البنية، يداها صغيرتان، وكذلك قدماها، شعرها أسود فاحم، لم تكن أروع شيء في العالم، لكنّها تُجيد تقديم نفسها للآخرين، كانت في الثلاثين، أمًّا لأطفال. بصراحة، كانت سيدة خجولة، رغم ما حدث بعدها".

"أمك كانت تشتري منها الأشياء،" أكمل قائلاً. "مثلاً: مكنسة، أو ممسحة، أو ذلك الشيء المستخدم لحشو الفطيرة -وأنت أعلم بأمّك- كان يوم الأحد، وأنا حينها في البيت بينما أمك في الخارج تقصد أحد الأماكن. كنت في الغرفة الأمامية أشرب القهوة وأقرأ الصحيفة، وإذا بتلك المرأة القصيرة تطرق الباب. عرّفتني بنفسها أنها سالي ووين، وأنها تحمل أغراضاً للسيدة بلامر. أخبرتها أنّ السيّدة بلامر ليست في البيت حاليًّا. سألتها أن تتفضل بالدخول -كما تعلم- كي آخذ منها الأغراض، وأحاسبها. كانت مُتردِّدة، توقّفت بالباب تحمل الكِيس وفاتورة المشتريات".

"قلت لها: هلّا حملتُ عنكِ الأغراض؟" تابع كلامه. "لماذا لا تدخلي ريثما آتي بالمال؟ أجابتني: لا بأس، سأسجّل الثَمن دَينًا، وكثيرٌ من عملائي يدفعون لاحقاً. ثم تبسّمت لتُشعرني بأنّ لا ضَيْر في تأجيل السَداد."
"لا داعي للتّأخير. قلت لها. سآتي بالمال حالًا. سأسدّد فورًا. وفّري عناءَ عودتك لاحقاً لقبض ثمنها، لا أطيقُ مشقّة الاستدانة. ثم دعوتها للتفضل بالدخول، وفتحت باب المنزل، لم يكن من الاحترام تركُها واقفة عند عتبة الباب."
سعل أبي، ثم تناول سيجارة من علبتي. في الناحية الأخرى امرأة تضحك، نظرتُ إليها، ثم واصلت قراءة العبارات المكتوبة على منفضة السجائر.
عاد يُكمل حديثه "دخلَت المنزل. قلتُ لها: دقائق فقط كي أُحْضِرَ محفظتي من غرفة النوم".
"لم أجد المحفظة على طاولة التسريحة، وجدتُ بعض العملات المعدنيّة، وأعواد ثقاب، ومشطًا. كانت أمك قد أخذت ملابسي لتغسلها هذا الصباح -كما ترى- لذا عدت إليها قائلاً: سأدبّر النقود الآن."
"قالت: لا تُزعج نفسك بشأن المال. فأجبتها: يتحتّم عليَّ في كل الأحوال العثور على محفظتي، والبيت بيتك."
"قالت: أنا على ما يرام."
"سألتُها: هل سمعتِ بحادثة السّرقة الكُبرى في المنطقة الشرقيّة؟ أجابت: شاهدت شيئاً عنها في التلفاز."
"قلتُ: اللصوص قد نجوا من الشرطة. قالت: لصوص ماهرون. قلتُ: هي جريمة كاملة."
"استدركَت قائلة: من النادر أن ينجوا بفعلتهم تلك".

"لم يكن لدي شيءٌ آخَر أقوله، تبادلنا النظرات وهلة، ثم ذهبتُ إلى غرفة الغسيل أبحث في ملابسي الموضوعة في سلة الغسيل، فقد انتبهتُ أن أمك كوّمتهم هناك. وجدتُ محفظتي في الجيب الخلفي، فعُدت إليها، وسألتها: بكم أنا مدينٌ لكِ؟ كانت ثلاثة دولارات أو أربعة، دفعت لها، ولا أعلم لماذا سألتها ما الذي تودّ فعله لو حازت المال الذي سرقه اللصوص؟"

"ضحكَت حتى بانت نواجذها."

"لا أعلم يا ليز ما الذي حل بي بعدها،" عاد للحديث. "عمري حينها خمسة وخمسون عاماً، وأبٌ لأطفال أربهم، وأنا أفضل من أن أفعل ما فعلت، وهذه المرأة تبلغ نصف عمري، ولديها أبناء في المدرسة، هي تبيع الأشياء فقط لتتسلى حين يكون أطفالها في المدرسة، لم تكن في عَوَزٍ للعمل إطلاقاً، كان هناك من يُعيلها، فزوجها يعمل سائقاً لدى شركة نقل مَرْمُوقة تُدعى كونسليديت فرايت، اسمه لاري، كان دخله المادي جيداً -كما تعلم- حال أجور سائقي الشاحنات."

توقف عن الحديث، ومسح وجهه.

قلت له "كل واحد معرض للخطأ".

أومأ برأسه، ثم أكمل حديثه "كان لها ولدان هما هانك وفريدي، بينهما سنة واحدة تقريباً، لقد أرتني بعض الصور، كانت تضحك عندما أقول لها أن الأمر يتعلق بالمال، كانت تعتقد أنها ستترك عملها الحالي وسترحل إلى سانتياغو، كي تشتري بيتًا، قالت أنّها عاشت قصّة حب هناك"

أشعلت سيجارة، نظرت لساعتي، ساقي الحانة رفع حاجبيه لي، فرفعت له كأسي.

عاد مجدداً ليكمل "كانت جالسة على الأريكة، سألت إن كانت لدي سجائر، قالت إنها نسيت سجائرها في حقيبة يدها، وأنها لم تدخّن ذاك اليوم منذ أن غادرت منزلها، ولا تحب شراء السجائر ما دام لديها علبة في البيت، فناولتها سيجارة، وعود الثقاب في يدي -أقول لك يا ليز- أصابعي كانت ترتجف."

توقف عن حديثه وراح يعاين زجاجة البيرة لحظة، وفي الجهة الأخرى راحت المرأة التي كانت تضحك تحضن رجلاً بجانبها، أَطْبَقَت ذراعيها عليه.

"**غشاوة** ضبابية حجبت رؤيتي، سألتها إن كانت ترغب في شرب القهوة، أجابت أنّ لديها وقتًا كافيًا لشرب كوب قهوة، فذهبتُ إلى المطبخ لأعدّها مستعجلاً غليانها. أقول لك ليز، مستعدّ للقسم بالله، لم أخن أمك ولو مرّة واحدة حين كنا متزوجين، أبدًا، لقد سنحت لي فرصٌ كثيرة لخيانتها ولم أفعل، أقول لك، أنت لا تعرف أمك مثلما أعرفها."

قلت له "بالتأكيد؛ فأنت لست من أهل ذاك المسلك."

عاد للحديث "حملتُ لها قَهْوتها. خلعَت معطفها وجلست على طرف الأريكة. تحدثنا في مواضيع شخصية، أخبرتني أن لها طفلان في المرحلة الابتدائية، وأن لاري يعمل سائقاً، يغيب عنها أسبوعاً أو أسبوعين حين يقصد شمال سياتل أو جنوب لوس آنجلوس، وأحياناً يرحل إلى فينيكس، دائماً في مكان. أخبرتني أنها ولاري كانا زملاء في الثانوية. حديثها لم يخلُ من المُباهاة، ثم ضحكنا قليلاً على مزحة قلتُها، كانت حول شيء يختلف معناه الظاهر عن الباطن. قلت لها: سمعتُ

مرّة حكاية بائع أحذية رجالية متجوّل يطرق أبوب النساء الأرامل، ضحكنا على هذه النكتة، ثم حكيت لها نكتة فيها تلميح جنسيّ، دخنّا مع بعض سيجارة، وشيء يقود لشيء، ثم تطوّرت الأمور، كما ترى!" استمرّ في حديثه "وبعدها قبّلتُها، أمالت رأسها على الأريكة، أحسست بلسانها يلثم شفتيّ -هل تتابع ما أقول؟- يلتزم الرجل بكل القواعد ثم يحدث ألا يبالي بتجاوزها، هو الحظ حين يُطيح بك -أتعرف ذلك؟- كل ذلك حصل بسرعة لا تُلحَظ، ثم وصفَتها لي بأنها تجربة مُمتعة. أعدتُ توضيب الأريكة، وصففتُ عليها الوسائد، رتبت أوراق الصحيفة، غسلت طقم أكواب القهوة، وكل الوقت كنت أفكر بأيّ وجه سأقابل أمك، كنت خائفاً، وبعدها -إليك ما حصل- وكأن شيئاً لم يحدث، مضى وضعنا أنا وأمك وكأن شيئاً لم يحدث، لكنّي واصلتُ علاقتي مع المرأة بشكل طبيعي."

تلك المرأة في الحَانَة نهضت من مكانها، نهضت من كرسيّ دون مسند للظهر أو الذراعين.

توسّطَت الحَانَة وراحت تهتزّ راقصةً، تهز رأسها، تفرقع أصابع يديها، فتوقّف ساقي الحَانَة عن عمله. رفعت المرأة ذراعها فوق رأسها، وراحت تخطو في دوائر صغيرة، تجاهلها الساقي، فتوقّفَت عن الرقص.

سألني أبي "هل رأيت ما حدث؟"

لكنّي لم أقُل شيئاً، إطلاقاً.

"هكذا مضت الأمور. لاري يعمل وفق جدول مُناوَبة، أزور بيته كلّما سنحت الفرصة، كنت أقول لأمك بأني ذاهب لقضاء مصلحة هنا أو هناك"

خلع نظارته، أغمض عينيه، وقال "لم أخبر أحداً قبلك عمّا حصل"
لم يكن عندي شيءٌ ليقال، نظرت إلى لخارج، ثم إلى ساعتي.
قال "اسمع، ما هو موعد رحلتك للمغادرة؟ هل بإمكانك أن تأخذ رحلة غيرها؟ دعني أشتري شراباً آخر، يا ليز اطلب لنا كأسين، سأخبرك عمّا حصل في عُجالة، سأنهي حديثي في دقائق، أنصِت"
أتمّ كلامه" كانت تضع صورة لاري في غرفة النوم، في البداية أزعجتني الصورة، كنت أنظر إلى الصورة وأضاجع زوجته، لكن مع الوقت ألفتُ الصورة، أترى قُذرَة الرجل على التأقلم؟" أومأ برأسه وقال "يصعب تصديق أن القصة تنتهي بهذه النهاية المأساوية ، أتدرك ذلك، هل تدرك حقيقة ما حدث؟"
أجبته "أنا فقط أعرف من خلالك"
قال "سأخبرك، ليز، سأقول لك أن هناك أموراً أهمّ حوتها هذه الحكاية، هناك تفاصيل أهمّ من كون أمك تركتني، عليك الآن أن تستمع لهذا، كنتُ ذات مرة في فراش المرأة، على السرير، تقريباً وقت الغداء، كنا فقط نستلقي ونتحدث، لربما غلبني النعاس، جميلة هي الأحلام التي تأتي وقت القيلولة -أتدري- وفي الوقت نفسه كنت أحدّثُ نفسي بالنهوض والمغادرة، بالضبط كذلك، وإذا بسيارة تتوقف خارجاً، ويُفتح باب المنزل، وسمعتها تصيح: يا إلهي إنه لاري! طار عقلي، أتذكر أنني فكرت بالخروج من الباب الخلفي، تردّدت، فلعله سيسحبني من على السور وأنا هارب، لأسقط وأموت، كانت سالي تُصدر أصواتاً غريبة، كأنها فقدت القدرة على التحكم في أنفاسها، كانت بمعطف نوم مفتوح، تصلّبت مكانها في المطبخ تنتفض، كل ذلك حدث في لحظة -هل تفهمني- كنتُ حينها شبه عارٍ، أحمل ملابسي، حين فتح لاري باب

البيت، ففزتُ في اتّجاه صورة مُبَرْوَزة لهما، ومنها عبر نافذه زجاجيّة."
قلت له "هل هربت؟ ألم يجرِ خلفك؟"
حدّق والدي نحوي وكأنّي أبله، ثم نظر إلى كأسه، فنظرتُ إلى ساعتي، مددت ذراعي، أحسّ بصداع خلف عينيّ، قلت له "يجدر بي المغادرة للحاق الطائرة"
وضعت يدي على سلسلتي، ثم عدلت ياقة قميصي، سألته "أما زالت تلك المرأة في منطقتنا، في ردينغ؟"
قال والدي "أنت لا تعرف شيئاً، ما الذي تعرفه؟ أنت لا تعرف شيئاً على الإطلاق، أنت لا تعرف إلا بيع الكُتب"
كان ما يزال هناك متسع من الوقت حتى موعد رحلتي. قال "أوه، يا إلهي، أنا آسف"
أكمل قصته "ثم انهار الرجل، تهشّم، تحوّل إلى حطام، رمى نفسه على الأرض، وبقيَت هي في المطبخ، تواصل البكاء، جثت على ركبتيها تدعو الله، ترجو الرب أن يستجيب لها"
حاول أبي أن يقول شيئاً، لعله تردّد، اكتفى بهز رأسه، ثم قال "يكفي، عليك اللحاق بالطائرة"
ألبستُه معطفه، خرجنا، يدي على مرفقه، أقوده للخارج، سألته "هل أطلب لك سيارة أجرة؟" قال "سأراك يوماً خارج المطار؟"، أجبته "لا عليك، ربما في المرة المقبلة"
تصافحنا، كان هذا آخر لقاء جمعنا. في طريق عودتي إلى شيكاغو تذكّرتُ أنّي نسيتُ أكْيَاس الهدايا في الحانة. وهذا جيّد، فلم تكن ماري راغبةً في حلوى اللوز والحلويات، ولا في غيرها.
لقائي بأبي حدث العام الفائت. رغبة ماري الآن باتت أقلّ ممّا مضى.

الاستحمام

ظهيرة يوم السبت، قادت الأم سيارتها نحو المخبز الكائن في المركز التجاري، وبعد أن رأت صوراً لأشكال التُّورْتَات، اختارت إحداها وفق ذوق ابنها، تُورْتَة الشوكولاتة، عليها صورة سفينة فضائيّة تنطلق من منصّة أرضيّة، تعلوها نجوم تتلألأ. طلبَت أن يُكتب على سفينة الفضاء "سكوتي" باللون الأخضر.

بإنصات كان الخباز يستمع إليها، أخبرَته عن ابنها سكوتي الذي سيبلغ تسع سنوات. كان رجلاً مسناً ذلك الخباز، يرتدي مَرْيَلَة عجيبة تتدلى على صدره ثم تلتفّ عن جانبيه لتتصل بظهره برباطٍ مشدود، كان يمسح بيده على المريلة ويستمع إلى حديث المرأة مراقبًا إشاراتها، عيناه النّديّتان تتفحصان شفتيها وهي تتحدث عن صور الكعك وأنواعه.

تركها تأخذ وقتها في الحديث، لم يكن على عجلة من أمره.

بعد أن اختارت تُورْتَة سفينة الفضاء، أعطت الخبّاز اسمها ورقم هاتف منزلها، أعلمها أن التُورْتَة ستكون جاهزة صباح الاثنين. ثمّة وقتٌ كافٍ. قبل موعد حفلة عيد الميلاد في عصر الاثنين. ذاك ما ودّ الخباز قوله، دون مجاملات. اقتصر الحديث على كلام مختزل، المعلومات المهمّة فقط، دون حوارات هامشيّة.

صباح الاثنين كان الصبيّ في طريقه إلى المدرسة برفقة زميله، وكانا يتناوبان على كيس شرائح البطاطس، الصبيّ الذي سيحتفل بعيد مولده يحاول استدراج الصبيّ الآخر ليعرف ماذا سيُهديه.
عند أحد تقاطعات الطرق، ودون أن ينظر، نزل الصبيّ الذي سيحتفل بعيد مولده عن الرّصيف، وفورًا صدمَته سيّارة عابرة، فوقع على جانبه بعد أن ضربَ برأسه المصرفَ الحديديّ للمجاري، فطفقت رجلاه تتحركان وكأنه يرقى حائطاً.
الصبيّ الآخر ما زال يحمل كيس البطاطس، احتار فيما يفعل، فلم يدرِ هل يكمل كيس البطاطس أم يكمل طريقه نحو المدرسة.
لم يبكِ صبي عيد الميلاد، كما ولم ينطق بكلمة، ولم يُجِب الصبيّ زميلَه عندما سأله عن إحساس أن ترتطم بك سيارة. فقد قام الصبيّ المُصاب، وعاد أدراجه نحو منزله. أثناء ذلك كان زميله يلوّح بيده، مع السلامة، ثم وَلّى إلى المدرسة.
حدّثَ الصبيّ أمّه بما حصل، جلسا جوار بعضهما على الأريكة، وضعت يديه في حضنها كلما مال الولد مضطجعاً.

بالتأكيد أُلغيَت حفلة عيد الميلاد، فالصّبيّ نُقلَ ليلتها إلى المشفى. الأمّ جالسة جواره على السرير، تنتظر أن يستيقظ. والد الصبيّ جاء مسرعاً من مكتبه، وجلس جوار الأم، وكلاهما ينتظر استفاقة الصبيّ، انتظر الأبوان ساعات، ثم عاد الأب إلى المنزل ليستحمّ.
قاد الأب سيارته من المشفى إلى المنزل، سار بسرعة غير معهودة، لقد كانت الحياة جميلة حتى تلك اللحظة، جميلة بوظيفته وأبوّته

وأُسرته، كان والداً محظوظاً وسعيداً، لكن الخوف خلق فيه رغبةً للاستحمام.

وصل مدخل المنزل، جلس في سيارته يحاول تحريك رجليه، فقد صدمَت سيارةٌ صبيّه وأرقدته في المشفى. لا بأس، سيكون على ما يرام. ترجّل من سيارته نحو باب المنزل، الكلب يعوي والهاتف يرن، تواصل رنين الهاتف مع فتح الباب، تحسّس الجدار ليضيء الإنارة.

رفع سماعة الهاتف، وقال فورًا "للتوّ دخلت البيت"

"هناك تُورتَة جاهزة، لم يأتِ أحد ليأخذها"

هذا ما سمعه من الطرف الثاني.

سأل الأب "ماذا تقول؟"

واصل الصوت على خط الهاتف "التُورتَة، ستة عشر دولارًا"

قرّبَ الزّوج سماعة الهاتف من أذنه ليعي ماذا يُقال، ردَّ "لا أعرف شيئاً بشأنها"

ردَّ الصوت "لا تمزح معي"

أقفل الزوج خط الهاتف، ذهب إلى المطبخ وحضّر لنفسه كأس ويسكي، ثم اتصل بالمشفى.

حالة الطفل ما زالت كما تركه.

وبينما الماء يجري في مغطس الاستحمام، رطّبَ الرّجل ذقنه وحلقه، كان في المغطس عندما سمع صوت الهاتف يرن مرة أخرى، قام وقطع المنزل كلّه وهو يردّد "أحمق، أحمق" لائمًا نفسه لأنه ترك المشفى، فلم يكن ليحدث هذا لو ظلّ هناك. رفع سماعة الهاتف، صاح بصوت عال "ألو!"

فجاءه الرّد "إنها جاهزة!"

عاد الأب إلى المشفى بعد منتصف الليل ، الأم تجلس على كرسي بجانب السرير، نظرت للزوج ثم للابن، جهاز يحمل زجاجة بأنبوب يتصل بالصبي، ويسيل عبر الأنبوب سائل، سأل الأب "ما هذا؟".

ردت الأم "غلوكوز."

وضع الزّوج يده خلف رأس المرأة "سيستيقظ"

"كلّي ثقة..." قالت.

بعد لحظة قال لها "اذهبي لنيل قسط من الراحة في المنزل"

هزّت رأسها "لا"

"حقّاً، عودي للمنزل بعض الوقت، لا داعي للقلق، هو نائم الآن" قال الرجل.

دخلت الممرضة الغرفة، كانت تومئ برأسها لهم وهي تمشي نحو السرير، سحبت يد الصبي اليُسرى من تحت اللحاف ووضعت أصابعها على معصمه، أعادت يد الصبيّ مكانها، وكتبت شيئاً على دفتر ملاحظات مثبّت إلى السرير.

سألت الأم "كيف هو الآن؟"

"مُستقرّ" أجابت الممرّضة. "سيحضُر الأطباء قريباً"

"كنت أودّ القول بأن عليها الذهاب للبيت لترتاح قليلاً." قال الزوج.

"بعد أن يحضر الأطباء"

"بالطبع" قالت الممرضة.

حدّق الأب في ابنه، صدره الصغير يتّسع ثم ينقبض دواليك تحت اللحاف، أحس بمزيد من الخوف، بدأت يداه ترتعشان، حدّثَ نفسه بأن صغيره بخير، ينام في المشفى بدل أن ينام في البيت، وهذا كل شيء،

فالنوم هو النّوم أينما كان.

جاء الطبيب، سلّمَ على الرجل، وقامت المرأة عن كرسيها. "آن،" قال الطبيب وهو يومئ برأسه، "لنرَ كيف حاله الآن". توجّها ناحية السرير، قبض معصم الصبي، ثم رفع جفن عينه الأولى ثم الثانية. رفع اللحاف وأستمع إلى نبض قلبه، ضغط بأصبعه على مواضع في جسد الصبيّ، ثم اتّجه إلى طرف السرير وفحص المخطّط، سجّل وقت الزيارة، ثم خربش على المخطّط، وما إن فرغ حتى أعار انتباهه للأم والأب.
بدا الطبيب وسيمًا، ذو بشرة نَديّة حنطيّة، يرتدي ملابس من ثلاث قطع، وربطة عنق زاهية اللون، وقميصًا ذا أزرار.
الأم كانت تحدّث نفسها بأنّ هذا الطبيب جاء من مكان ما حيث يحظى بجمهور غفير، وقد أعطوه ميدالية تقدير.
قال الطبيب "لا شيء يسترعي القلق بشأنه، سيُفيق قريباً،" ثم نظر إلى الصبيّ مرّة أخرى وقال "سنعرف المزيد بعد الفحوصات"
قالت الأم "أوه، لا!"
ردَّ الطبيب "في بعض الأحيان يحدث هذا"
سأل الأب "هل تُسمون هذه الحالة بالغيبوبة، إذن؟" نظر الأب إلى الطبيب منتظراً الإجابة.
قال الطبيب "لا أودّ تسميتها غيبوبة،" وتابع "هو نائم، إنها فترة استرداد الوَعي، فالجسم يقوم بوظائفه التي يتعيّن عليه القيام بها"
قالت الأم "إذن غيبوبة، نوع من الغيبوبة"
ردَّ الطبيب "لا أفضّل تسميتها بهذا"
ربّت الطبيب على يد الأم، ثم صافح الأب، ورحل.

وضعت الأمّ يدها على جبين الصبي للحظات "على الأقل ليس بمحموم،" خاطبت زوجها. "لست متأكدة، تعال ضع يدك" وضع الأب أصابعه على جبين الصبي للحظات، وقال "أظن أن الأمر طبيعي"

انتصبت الأم واقفة في مكانها، تعضّ شفتيها، ثم جلست على كرسيها.

جلس الزوج على كرسي جوارها، كان يود قول شيء مختلف، لكن لا شيء يمكن أن يقال، غطى شفتيه بكفّيه، شعر بالراحة. أحس وكأن شفتيه باحت بالكلام لكفّيه. جلسا في هذا الوضع فترة من الزمن، بقيا يُراقبان الصبي بصمت، وبين الفَيْنَة والأخرى، يضغطان على يد الصبي.

"أنا أدعو له" قالت الأم.

"وأنا كذلك، أدعو له" قال الأب.

عادت الممرضة، عاينت تدفّق المحلول من القنّينة إلى يد الصبي.

جاء طبيب آخر، عرّفَ باسمه. كان يرتدي حذاءً مستوياً، قال "سنأخذه إلى الأسفل لأخذ مزيد من الصور، نود الحصول على صور بالأشعة"

"أشعة؟" سألت الأم، وهي واقفة بين السرير والطبيب.

ردَّ عليها "هذا فقط"

"يا إلهي" صاحت.

جاء من يدفع سريرًا متحرّكًا. فصلَ المحلول عن الصبيّ وأرقدَه على سرير العجلات.

بعد شروق الشّمس أُعيد الصبيّ إلى الغرفة. لحقَ الوالدان بالسّرير المتحرك من غرفة الفحص إلى المصعد ومنه إلى غرفته. الأم مع الأب جلسا بجانب الصبيّ.

مضى اليوم بطوله، لم يفق الصبي، والأطبّاء يعودون ويعاينونه ثم يكررون الكلام ذاته، الممرّضات يجئن، والأطباء يأتون، والفنيّون يدخلون يأخذون عيّنات من الدم ثم ينصرفون.

قالت الأم لفنّي المختبر "لا أفهم ما يحدث!"

"أوامر الأطباء" ردَّ فنيّ المختبر.

قامت الأم إلى النافذة ونظرت إلى مواقف السيارات في الخارج. أبصرت أنوار السيارات الآتية من هذا الاتجاه تُضيء ثم تختفي، وكذلك الذاهبة في ذلك الاتجاه المعاكس تضيء ثم تختفي.

أسندت يدها إلى شرفة النافذة وحدّثت نفسها بأنها قد تكون على موعد مع أمر صعب.

كانت خائفةً وَجِلة.

رأت سيارة، وسيّدة بمعطف طويل تركب سيارة، هي سيّدة كما تعتقد، وقد غادرت هذا المكان لمكان آخر كما تظنّ.

جاء طبيب آخر، ذو مظهر صحي أكثر عن أقرانِه الأطباء. عاين الصبيّ وقال "الدلائل تشير بأن كلّ شيء على ما يرام"

"لكنّه نائم" قالت الأم.

"أجل" قال الطبيب.

"هي مُرهقة، إنها تُعاني" قال الزّوج.

ردَّ الطبيب "آن، عليها أن تستريح، وأن تأكل..."
"شكراً" قال الزوج.
صافحه الطبيب، ثم ربت على كتفيهما، وغادر الغرفة.

"يتوجّب على أحدنا العودة ليتفقد البيت، ويُطعم الكلب" قال الزوج.
"هاتِف الجيران، سيطعمونه لو طلبنا ذلك منهم،" قالت الزّوجة.
حاولَت التفكير في أحدٍ منهم، أغمضَت عينيها وراحت تفكر فيهم جميعًا، وبعدها قالت "لعلّه من الأفضل أن أتولّى هذا الأمر بنفسي، لربما أن القَدَر يطلب مني المغادرة كي يستفيق الصغير من نومه، لعلّ وجودي بجانبه يَحول دون ذلك"
"قد يكون ذلك صحيحاً" قال الزوج.
"سأذهب كي أستحمّ وأغيّر ملابسي"
"من الأفضل أن تفعلي ذلك"
حملت حقيبتها، ألبسها الزوج معطفها، توجّهت ناحية الباب ثم عادت تنظر إلى ابنها. رفعت بصرها نحو زوجها الذي ربّت على كتفها وابتسم.

تجاوزَت مكتب الممرّضات خارجةً من المشفى. في نهاية الممرّ غرفةٌ صغيرة تجلس فيها أُسرةٌ بأكملها، كانوا على مقاعد الانتظار، بينهم رجل بقميص كاكيّ اللون ويعتمر قُبّعة بيسبول، لبسها معكوسة جاعلاً طرفها الأمامي إلى الخلف، وكذلك امرأة سمينة ترتدي ملابس البيت وتنتعل خُفًّا، وفتاة ببنطلون جينز ذات ضفائر كثيرة وغريبة. ثمّة على الطاولة أمامهم أوراق لَفّ ساندويتشات، وأكواب فوم،

وعيدان تحريك القهوة، وأكياس صغيرة فيها ملح أو فلفل أسود.
صاحت بها السيدة "نيلسون، هل جئتِ من أجل نيلسون؟"
كانت عيناها تتّسعان.
عادت لتسأل "أخبريني الآن، يا سيدة، هل جئتِ من أجل نيلسون؟"
حاولت السيدة النهوض عن كرسيّها لولا أن رجلاً بجانبها كان قد شبك ذراعه في ذراعها.
قال الرجل "هنا، هنا"
"أنا آسفة،" قالت الأمّ. "أنا أبحث عن المصعد، ابني ينامُ في المشفى هنا، لكنّي لم أستطع العثور على المصعد"
أجابها الرجل وهو يشير بأصبعه "المصعد في آخر الممر"
"سيارةٌ صدمت ابني،" قالت لهم الأم. "لكنه على ما يرام، هو في حالة صدمة الآن، قد تكون غيبوبة، هذا ما يُقلقنا، فكرة أن تكون غيبوبة، سأذهب إلى البيت وأعود بسرعة، للاستحمام، لكن زوجي بقي مع ابني مرافقاً في الغرفة، هو يحرسه هناك، قد يبتسم القدر إذا تركته وذهبت. بالمناسبة، أنا آن وايز"
دفعَ الرّجل جسده نحو طرف الكرسي وهزّ رأسه "نيلسون هو ابننا"

قادت سيّارتها إلى بداية ممرّ المرآب. جاء الكلب يركض من خلف المنزل، يدور في حلقات على العشب. أغمضت عينيها، ووضعت رأسها على مقود السيارة. استمعَت إلى صوت محرّك السيارة يهدَأ مع الوقت.
نزلت من السيارة ووصلت إلى الباب. أشعلت الأنوار وسخّنت الماء لتحضير الشّاي. فتحت عُلبة وأطعمت الكلب، جلست على الأريكة حاملةً كأس الشاي.

رَنَّ الهاتف، أجابت "نعم... نعم"

صوت رجل يقول "السيدة وايز؟"

أجابت "نعم، هذه السيدة وايز، هل هذه المكالمة بخصوص سكوتي؟"

"سكوتي،" أجاب. "إنها بشأن سكوتي. إنه أمر متعلق بسكوتي، نعم"

قُل للزوجات إنَّنا ذاهبون

لطالما كان بيل جامسيون صديقاً حميماً لجيري روبرت، نشأ الاثنان في المنطقة الجنوبية، قرب أرض المعارض والاحتفالات القديمة. تلازما منذ دراستهما الابتدائيّة ثم انتقلا إلى مدرسة آيزنهاور، لتضمّهما الفصول الدراسية نفسها، مع المعلمين أنفسهم، ويرتديا الملابس نفسها، ويتشاركان الفتيات أنفسهن بغض النظر -قطعاً- من منهما يواعد الفتاة أولاً.

عمل كلاهما في وظيفة صَيفيّة، يسقيان شجر الخوخ ويقطفان الكرز، ويسندان نباتات الجنجل على الأسلاك. بالنسبة لهما، لا ضير مِن تقاضي أجرًا ضئيلًا طالما لا يوجد مسؤول يحشر رجله في مؤخراتهم بالأوامر خلال العمل.

اشترى الاثنان سيارة، تشاركا دفع ثمنها البالغ ثلاثمائة وخمسة وعشرين دولارًا. السيّارة من نَوع بليموث حمراء فئة 54، حدث ذلك خلال الإجازة الصيفيّة حيث بقي عام دراسي واحد يفصلهما عن التخرج من الثانوية.

تشاركا السيّارة نفسها. مضت الأمور بشكل جيّد.

تزوّج جيري قبل نهاية الفصل الدراسي الأوّل وترك المدرسة واتّجه

للعمل في محلّات روبيز مارت. أما بيل فقد صادق فتاة.

زوجة جيري تُدعى كارول، علاقتهما الزوجية كانت جيدة، لم ينقطع بيل عن صديقه جيري، فقد كان دائم التردّد على الزوجين كلّما سنحت الظروف. خالجه إحساس بالتقدّم في العمر كَونه يُصاحب صديقاً متزوّجاً. كان ينضمّ إليهما على وجبات الغداء أو يتناول معهما وجبات المساء، ثم يستمع معهما إلى أغاني إلفيس أو الروك آند رول التي تغنيها فرقة هاري كومنتس.

يصدُف أن يتغازل الزوجان، جيري وكارول، في حضرة بيل الذي يتركهما يكملان مستأذنًا الانصراف نحو محلات محطة ديزورنز للوقود الواقعة في الجوار لشراء الكولا، وسبب خروجه هو أنّ سرير الزوجين يقبع في صالة الضيوف، ملتصق بالحائط!

في أحايين أخرى ينصرف الزوجان إلى الحمّام، وحينها يدخل بيل المطبخ متظاهراً بتقليب الأدراج، فيفتح باب الثلاجة محاولاً إلهاء نفسه عن سماع صوت لهوهما.

قلّلَ بيل من زياراته لهما لاحقاً، وفي يونيو أنهى دراسته، وتوظّف في مصنع دايري غولد للألبان، وانتسب إلى الحرس الوطني الأمريكي. وبعد عام بات بيل مسؤولًا عن خطٍّ كاملٍ لتوزيع الألبان، ومضت علاقته بشكل جيد مع صديقته ليندا. لذا ترافق كل من بيل ولندا عند زيارة الزوجين جيري وكارول، ولم تخلُ الجلسات من علب البيرة والموسيقى.

لندا وكارول صارتا صديقتين، سُرّ بيل عندما همست له كارول واصفةً صديقته بأنها إنسانة حقيقية، كما وامتدحها جيري عندما نعتها بالمرأة العظيمة.

عندما تزوّج بيل صديقتّه ليندا، كان جيري وقتئذ الصديق الأقرب. قاعة حفل الزّفاف بالطبع في فندق دونلي، لم يتوقّف مزاح الصديقين جيري وبيل ولهوهما في الحفل، بل شبكا ذراعيهما وراحا يتذوّقان كؤوس الشراب الممزوجة بالفواكه. في خضم ذلك، وبين كل مظاهر البهجة، لمح بيل صديقه. رأى أنّ العمر تقدّم به، لم يبدُ ابن الثانية والعشرين ربيعاً. حينئذ كان جيري أباً سعيدًا لطفلين، وقد ترقّ وظيفيًّا إلى مرتبة مساعد المدير في محلات روبيز مارت، أمّا كارول فإنّ رحمها يحمل مولوداً جديداً.

استمرّت لقاءات الصديقين خلال أيّام العطل الأسبوعيّة، السّبت والأحد، وأحياناً في العطل الرسميّة. وإذا كان الجوّ لطيفاً يكون اللقاء في بيت جيري حيث المكان الأنسب لحفلات الشوي -الباربكيو- يشويان السجق بينما الأطفال يخوضون في بركة السباحة ويلهون، لم يكن ينقص جيري شيء، كل ما يحتاجه متوفّر حيث يعمل في محلات روبيز مارت.

يملك جيري منزلاً جميلاً على هضبه ذو إطلالة على بلدة ناتشيز، ثمّة بيوت قليلة حوله لكنها لم تكن جواره. كان ميسور الحال، لذا يفضّل الجميع أن تتم اللقاءات في منزل جيري حيث حفلات الشواء والموسيقى ومكان يتسع للعب الأطفال.

وقعت الواقعة يوم الأحد في منزل جيري.

كانت الزوجتان في المطبخ ترتبان أغراضه وتقومان بتنظيفه. ابنة جيري تلهو برمي الكرة البلاستيكية في بركة السباحة وتصرخ ثم تخوض في الماء لتعُيدها.

حينها كان الصديقان جيري وبيل في باحة البيت المرصوفة، مسترخيين على الكراسي الخارجية ويشربان البيرة.
استأثر بيل بغالبيّة الحديث، تكلّم عن أصدقائهما القدامى، عن مصنع دايري غولد للألبان، عن عزمه شراءَ سيارة بونتياك ذات أربعة أبواب.
نظر جيري إلى حبل الغسيل، أو قد يكون قد نظر إلى سيارته الشيفروليه التي تقف في الكراج، تعجّب بيل في قرارة نفسه من الصّمت الذي يغرق فيه جيري، مضت فترة لم ينطق فيها كلمة واحدة!
تحرّك بيل على كرسيه وأشعل سيجارة، ثم قال "هل هناك خطْب ما؟ أتسمعني؟"
أنهى جيري علبة البيرة ثم هرسها بيده، رفع كتفيه وقال "أتدري؟"، أومأ بيل برأسه، قال جيري "ما رأيك في الهروب قليلاً؟"
ردَّ بيل "فكرة جيدة بالنسبة لي، سأخبر الزوجات أننا ذاهبون"

سلكَ الاثنان طريق نهر ناتشيز السريع باتجاه بلدة غليد. تولّى جيري مهمّة القيادة. الجو مُشمس رطب والهواء ينساب في السيارة.
سأل بيل "إلى أين المسير؟" قال "دعنا نلعب الكرة"، ثم استطرد "يروق لي الأمر" شعر بيل بالسرور بعدما رأى وجه صديقه يتهلّل.
قال جيري "الخروج والتسكّع دَيْدَن الشباب"
نظر إلى صديقه بيل وسأله "فهمتَ مقصدي؟"، استوعب بيل مغزى كلام صديقه، فهو يهوى الذهاب مع زملائه في مصنع الألبان مساء الجمعة للعب البولينغ، كما يهوى مرافقة أحد أصدقائه لشرب البيرة يومين في الأسبوع ، هو يدرك أن الشباب يستهويهم التسكّع.

قال جيري عندما اقتربا من مبنى المركز التجاريّ "ما زال صامداً هذا المكان!"

دخل الاثنان المركز، أمسك بيل الباب لجيري الذي مازحه بضربه على كرشه، حيّاهم أحدهم، كان ريلي صديقاً قديماً لهما، جاء من خلف دكّة البيع، سألهما عن أحوالهما، بدا ريلي سميناً، يلبس قميصاً بأكمام قصيرة مثل تلك التي تُلبس على شواطئ هاواي، ترك القميص مُسبلاً فوق بنطلون الجينز. سألهما "كيف تمضي بكم الحياة يا صِبْيان؟" ردَّ جيري "آه، كُفّ عن هذا، وناوِلني زجاجتَي بيرة"

غمز لبيل ثم سأل ريلي "كيف هي أحوالك؟"

عاد رالي وكرّر سؤاله "كيف تمضي بكم الحياة يا صِبْيان؟ هل من علاقات غرامية؟ أين دفنتما نفسيكما؟ جيري لقد رأيت زوجتك العجوز حاملًا في الشهر السادس؟"

طرفَتْ عينا جيري وتصلّب في مكانه لدقيقة.

سأل بيل "ماذا بشأن البيرة؟"

سحب الاثنان كرسيًا دون مسند من جانب النافذة، قال جيري "ما هذا المكان المقرّز؟ الأحد ظهراً والمكان يخلو من البنات!"

ضحك ريلي "أعتقد أنهم جميعاً في الكنيسة يصلون"

خلال ساعتين شرب كل واحد منهما خمس علب بيرة، ولعب ثلاث جولات بلياردو وجولتَي سنوكر، بينما اكتفى رالي بمشاهدتهما يلعبان. كان بيل أثناءها يقلّب النظر بين ساعته وجيري، قال بيل "بماذا تفكر يا جيري؟ أقصد، ماذا تنوي؟"

أنهى جيري علبة البيرة التي في يده ثم هرسها، وراح يدوّرها.

عاد الاثنان إلى الطريق السريع، قاد جيري بسرعة، زادها من 85 ميلاً إلى 90، تجاوزت سيارتهما للتوّ سيارة نقل محمّلة بالأثاث، ثم شاهدا فتاتين.

"انظر هناك!" قال جيري. "قد أضاجع شيئاً!"

خفّف جيري سرعته مسافة ميلٍ أو ما يقارب، ثم تنحّى عن الشارع.

"يجب أن نعود إلى الوراء، لنجرّب حظنا" قال جيري.

"ربي!، لا رغبة لي!" ردَّ بيل.

"قد أضاجع إحداهن" قال جيري.

" نعم، لكنّي لستُ متأكدًا" قال بيل.

"من أجل المسيح!" رجاه جيري.

نظر بيل إلى ساعته ثم التفت حوله. "قُم أنت بمهمّة الحديث، فأنا جبان" قال.

راح جيري يصفّر للبنات، ويحُثّ محرّك سيارته مُصدرًا هديرًا عاليًا. أبطأ عندما اقتربت الفتاتان. قرّبَ سيّارته الشيفروليه بمحاذاتهن، لكن الفتاتان تجاوزتاه على درّاجتيهن.

غير أن الفتاتين نظرتا الواحدة إلى الأخرى وتضاحكتا. الفتاة التي تلي الشارع كانت ذات شعر أسود داكن، طويلة، ورشيقة. أمّا الأخرى فكانت ذات شعر فاتح اللون وأقصر من صاحبتها.

كلا الفتاتين ترتدي سروالًا قصيرًا وصدريّة.

"عاهرات،" صاح جيري. وانتظر عبور سيّارة كي يتمكّن من الاستدارة والعودة لهن، قال "سآخذ ذات اللون الحنطيّ تلك، أمّا القصيرة فهي لك."

التصق بيل بمقعده، وضع يده على الحد الفاصل بين عدستي نظارته

الشمسية.

"لن يعطونا شيئاً،" قال.

"ستكون الفتاتان الآن بمحاذاتك،" قال جيري.

انطلق بسيّارته إلى الأمام ثم استدار عائداً.

"كن جاهزاً،" قال جيري.

"أهلًا..." قال بيل للفتاتين حين صارا بمحاذاته، ثم أكمل "اسمي بيل."

"هذا لطيف" قالت الحنطيّة اللون.

"إلى أين أنتما ذاهبتان؟" سألهما بيل.

لم تجب الفتاتان. ضحكت الفتاة القصيرة، ثم واصلتا طريقهن، وواصل جيري اللحاق بهن.

"أوه، تعاليا معنا الآن، إلى أين تذهبان؟" قال بيل.

"إلى اللامكان!" أجابت القصيرة.

"وأين يقع هذا اللامكان؟" سألها بيل.

"من الأفضل ألا تعرف أين!" قالت القصيرة.

"لقد أطلعتك على اسمي، ما اسمكما؟ صديقي اسمه جيري!" قال بيل.

تبادلت الفتاتان النظرات وضحكتا.

جاءت سيارة من الخلف وراحت تزمر لهما، فصاح جيري بغضب "تعال واصدمنا!"

تنحى قليلاً بسيارته تاركاً السيارة في الخلف تتجاوزه، ثم عاد نحو الفتاتين.

قال بيل "اركبا معنا في السيارة، سنأخذكما أينما تريدان، هذا وَعد،

لابد أنكما قد تعبتما من ركوب الدراجة، يبدو عليكما الإرهاق بعد كثيرٍ من التمارين الرياضية، هذا مضر بالإنسان، وخصوصاً الفتيات!"

ضحكت الفتاتان.

"أفهمتما؟ الآن أطلعانا على اسمَيكما" قال بيل.

"أنا باربرا، وهذه شارون،" قالت القصيرة.

قال جيري مخاطباً بيل "حسناً، اعرِف الآن إلى أين هما ذاهبتين."

"إلى أين أنتما ذاهبتان؟"، سألهما بيل. "باربرا؟"

ضحكت الفتاة، وقالت "لا مكان محدد، نسير حتى نهاية الطريق، وهل تعرف نهاية الطريق؟"

قالت الفتاة للأخرى "هل تريدين أن أخبرهما؟"

ردت عليها الفتاة التي تدعى شارون "لا يهمني، لا فرق، لن أذهب إلى أيّ مكان مع أيّ أحد."

عاد بيل للسؤال "إلى أين تذهبان؟ إلى المركز التجاري؟"

ضحكت الفتاتان.

قال جيري "هن ذاهبتان إلى هناك بالتأكيد."

ضغط على دواسة الوقود، وتابع سيره بمحاذاتهن. "لا تتصرفن هكذا" قال جيري. "تعالين معنا! فجميعنا مدعوون!"

أكملت الفتاتان طريقهن.

صاح جيري "سأضربكن!"

استرقت الفتاة الحنطيّة نظرة، كأنها تنظر إلى جيري، نظرة فيها لطف ما، لكن يصعب فهم ردود أفعال الفتيات عمومًا.

عاد جيري بسرعة إلى الطريق السريع، تطاير الحصى وثار الغبار من أسفل إطارات السيارة.

سأله بيل عندما زاد سرعة السيارة "هل سنراهما؟"
ردَّ جيري "هم في قبضتنا، ألم ترَ تلك النظرة من هاتيك العاهرة؟"
"لا أدري،" قال بيل. "لربما علينا أن نعود إلى البيت."
قال جيري "سنُنهي المهمّة."

توارت سيارتهما خارج الشارع بين بعض الأشجار. الشارع السريع يتقاطع في اتجاهين هنا في بكتشر روك، من جهة بلدة ياكيما، ومن جهة أخرى باتجاه ناتشيز وإنومكلاو وممرّ شاينوك الجبليّ في مدينة سياتل.

الارتفاع مائة ياردة في هذا الجزء من المرتفعات، يليها انحدار من الحجارة السوداء: ممشى كأنه خلايا نحل بكهوف صغيرة وفتحات صخرية، رسومات هندية هنا وهناك على جدران الكهوف، ومنحدر صخري يواجه الشارع العام كتب عليه: ناتشيز – قطط برية – فليحفظكم المسيح – نحو ياكيما – وقت التوبة!

جلسا في السيارة يدخنان السجائر، البعوض يدخل محاولاً الوصول إلى الأيادي.

"يا ليت لو أنّ معنا بعض البيرة! كم أحتاجها." قال جيري.
"أتفق معك" قال بيل، ثم نظر إلى سيارته.

عندما اقتربت الفتاتان، نزل بيل وجيري من السيارة، ووقفا أمام رَفْرَفها الأمامي. قال جيري وهو يبتعد عن السيارة "تذكّر، الحنطيّة لي، وأنت لك الأخرى"

ألقت الفتاتان دراجتيهما وشرعا يصعدان للأعلى حتى اختفتا خلف

الصخور، ثم ظهرتا من جديد، الفتاة القصيرة في مكان أعلى من صاحبتها، راحتا تنظران إلى الأسفل.
صاحت الحنطيّة "لماذا تلحقان بنا يا رجال؟"
شرع جيري في الصعود خلفهما، فهرولت الفتاتان.
بدأ جيري وبيل الصعود.
هرولت الفتاتان بسرعة، ثم اختفتا مرة أخرى.
واصل جيري وبيل الصعود عبر الممشى. بيل كان يدخن سيجارته، يقف في كل حين ليسحب دخاناً منها، ومع دوران الطريق نظر فلمح سيارتهما.
صاح به جيري "أسرِع!"
"أنا قادم..." قال بيل.
تابع الاثنان صعودهما، رغم توقف بيل لينظّم تنفّسه، لم يستطع أن يرى الشارع العام من هذا الارتفاع، لا يرى إلا بحيرة ناتشيز كأنها ورقة ألومنيوم، قال جيري "اذهب أنت إلى اليمين، وسأذهب أنا الأمام، سنقطع عليهن الطريق."
هز بيل رأسه موافقاً، منعه اللهاث من الردّ.
صعد إلى الأعلى، بعدها بدأ المسار يتجه إلى الأسفل ناحية الوادي.
نظر فرأى الفتاتين جاثيتين خلف ساتر، ربما تبتسمان له.
تناول بيل سيجارة، لكنّه لم يتمكن من إشعالها، صاح عليه جيري، لكن الأمر لا يهم بعد الآن.
كل ما يريده بيل هو مضاجعة الفتاة، أو على الأقل رُؤيتهما عاريتين، ولا يهم بعد ذلك إن لم يحصُل على شيء من مراده منها.
لم يكن بيل يعلم مراد جيري، مراده الذي بدأ وانتهى بحَجَر، استخدم

جيري الحَجَر نفسه لقتل الفتاتين، الأولى اسمها شارون، والأخرى التي يُفترض أن تكون من نصيب بيل.

ما بَعْد البناطيل الزّرقاء

تستمع إديث باكرز إلى شريط الكاسيت عبر سمّاعة موصولة إلى أُذنها، وتدخن إحدى سجائره. التلفاز يعمل دون صوت، بينما هي جالسة على أريكتها، ثانيةً رجلَيها تحتها، وتتصفح المجلة، جاء جميس باكر من مجلس الضيوف الذي حوّله إلى مكتب شخصي، سحب السماعة من أذنيها، وضعت سيجارتها في مَنْفَضَة السجائر، رفعت قدمها في وجهه وراحت تحيّيه بتحريك أصابع قدميها.

سألها "هل سنخرج أم لا؟"

أجابته "سأخرج"

تحبّ إديث باكرز الاستماع إلى الموسيقى الكلاسيكية، خِلافَ جميس باكر، المُحاسِب المتقاعد الذي ما زال يعمل متعاوناً مع بعض عملائه السابقين، فهو يكره الاستماع إلى الموسيقى حال انشغاله وقت العمل.

قال "تحرّكي، لو كنّا فِعلاً سنخرج"

نظر إلى التلفاز ثم أطفأه.

أجابته "سأنهض"

طوَت المجلّة ونهضت. تركت الغرفة قاصدةً الجهة الخلفيّة من المنزل.

تبعها ليتأكد من أن باب البيت الخلفي موصَد وأنّ إنارة الحديقة مضاءة، وعاد ينتظر وينتظر في صالة الجلوس.

الوصول إلى المجمع السكنيّ يستغرق عشر دقائق، مما يعني أن الجولة الأولى من اللعب ستفوتهما.

شاحنة نقل صغيرة مخطّطة تحتلّ الموقف الذي اعتاد جميس ركْنَ سيّارته فيه، ما اضطرّه للبحث عن موقف آخر في نهاية المبنى.

علّقت إيدث قائلة "هناك كثير من السيارات هذه الليلة"

خاطبها جميس "لو جئنا في الموعد لتجنّبنا الازدحام"

أجابته وهي تشدّ كُمّ قميصه مازحة "طالما كانت هناك كثير من السيّارات، لكنّنا لم نرها من قبل!"

استرسل قائلاً "يتوجّب الحضور في الموعد، لو كنّا فعلاً نودّ لعب البينغو[3]!"

ردّت "صَه!"

وجد مَوْقِفاً شاغراً، صَفّ فيه سيارته، أطْفَأ محركها وأضواءها، ثم قال "لا أعلم إن كنت أشعر أنّي محظوظ الليلة، فقد شعرت بالحظ عندما دقّقت في حسابات الضرائب للعميل هوارد، لكن لا أعتقد أنّ الحظّ معي، والدليل أنّنا سنمشي الآن مسافة ميلٍ كاملٍ قبل أن نصل إلى صالة اللعب!"

(3) البينغو، أو البينجو، هي إحدى ألعاب القمار في أمريكا، يشتري اللاعب فيها بطاقة تحتوي على خمسة صفوف أفقية تتقاطع مع خمسة صفوف عمودية، ليكون مجموع الخانات 25 خانة، كل خانة تحمل رقماً عادة ما يكون بين 1 و 75، وتسحب الأرقام من 1 إلى 75 عشوائياً على منصة صالة القمار ثم يُعلَن عنها تباعاً، وعلى اللاعب متابعة الأرقام المعلنة وتظليلها، اللاعب الفائز هو مَن تتشكّل الأرقام في بطاقته على هيئة خطّ مستقيم (أفقي أو عمودي أو مائل يصل بين زاويتين). م.

ردّت عليه "كن معي وسيُحالفك الحظ!"
قال "إلى الآن لم أشعر بالحظ... أغلقي باب السيارة"

رياح باردة. رفع ياقة القميص كي تغطّي رقبته، وأغلقت أزرار معطفها. من وراء المباني يصلهما صوت ارتطام أمواج البحر بصخور الشاطئ.
قالت "سأدخن إحدى سجائرك أوّلاً"
توقف الاثنان تحت عمود إنارة في الزاوية، عمود الإنارة معطوب، تمّ إصلاحه عبر مدّ أسلاك كهربائية إضافية. الأسلاك تهتزّ بفعل الهواء وظلّها ينعكس على الرصيف.
سألها وهو يشعل سيجارته بعد أن أشعلت سيجارتها "متى ستقلعين عن التدخين؟"
أجابته "بعد أن تُقلع أنت عنه!"
أكملت "سأقلع عنه بعد أن تُقلع عنه أنت أولاً، مثلما فعلت بعدما أقلعت عن الخمرا هكذا، مثلك..."
ردَّ عليها "أستطيع تعليمك الحياكة بالإبرة"
علّقَت "حائك واحد في المنزل يكفي!"
أمسك ذراعها وراح يمشي.
عندما وصلا لمدخل صالة اللعب أسقطت سيجارتها وداست عليها، ثم صعد الاثنان نحو بهو الانتظار، في البهو أريكة وطاولة خشبيّة وكراسٍ وضعت عاموديًا بعضها فوق بعض، وعلى الحائط عُلّقَت صور لقوارب صيد وسفينة ملاحة، إحداها لقاربٍ يحمل رجُلاً يلوّح بيده نحو المرسَى.
عبرَ الاثنان الممرّ المؤدّي إلى الصّالة، جيمس ممسكاً ذراع إيدث.

بعض عاملات الصالة جلسن في طرف ممر الباب البعيد يغنين للناس حين دخولهم الصالة، حيث اللعب كان بالفعل قد بدأ، وسيدات على منصة المسرح يعلنون الأرقام المسحوبة.

اتجه الاثنان نحو طاولتهما المعهودة، ولكنهما تفاجئا باثنين يحتلّانها، ثمّة فتاة ترتدي بنطال جينز أزرق، وبرفقتها صبي ذو شعر طويل يرتدي بنطالًا أزرق كذلك.

تحلّت الفتاةُ بسِوارٍ وخاتم وقُرطَين، فأمست تتوهج بالحُلِيّ تحت إضاءة الصالة البيضاء. بمجرد ظهور جيمس وإيدث، مالت الفتاة نحو فتاها وراحت تشير له نحو الأرقام المكتوبة على أوراق اللعب، ثم قرصت ذراعه. لفّ الفتى شعره وعقده خلف رأسه، كما لفت انتباههما أيضاً، أن الفتى قد لبس قرطاً ذهبياً صغيراً في أُذنه.

قاد جميس إيدث إلى طاولة أخرى، جالا في القاعة قبل أن يجلسا. خلع سترته أولاً ثم ساعد إيدث في خلع معطفها. نظر ناحية الفتى والفتاة اللذين احتلا مكانهما، كانت الفتاة تحملق في بطاقاتها بالترافق مع إعلان الأرقام الفائزة الصّادر من منصّة المسرح، مائلة على فتاها تنظر في بطاقاته أيضاً، حينها ظن جميس أن الفتى لا يملك الفهم الكافي ليعتمد على نفسه في اللعب.

تناول جيمس رزمة بطاقات لعبة البينغو الموضوعة على طاولته، ناول إيدث نصف عدد البطاقات وقال "اختاري أرقامك الرابحة... لأنّي اخترت أوّل ثلاث بطاقات في الأعلى، لا على التعيين، لا يهمّ أيّ واحدة اخترت... إيدث، لا أشعر بالحظّ هذه الليلة!"

قالت "لا تعطهم أكبر من حجمهم، لن يضُرّا أحداً، مجرّد شابٌ وفتاة

صغار، هذا كل الموضوع"
علّق "إنها مجرّد ليلة جُمعة يلهو بها الناس بلعب البينغو"
أضافت "إنها بلد الحريّة"
ناولته رزمة البطاقات، وضعها على الجانب الآخر من الطاولة، وراح الاثنان يأكلان من وعاء المكسرات الموضوع أمامهما على الطاولة.

سحب جيمس دولارًا من ربطة النقود التي خصصها الليلة للّعب، ووضعه قربَ بطاقاته.
إحدى العاملات في الصالة، امرأة قصيرة ذات شعر أزرق، وتوجد بثرة على رقبتها – دأب جيمس وإيدث على تسميتها آليس- ستأتي عمّا قريب حاملة علبة قهوة تجمع فيها النقود والفواتير، ومن العلبة نفسها تعطي الفكّة للزبائن. قد تكون آليس هي من سيُسلّم الفائزين أموالهم، أو ربما عاملة أخرى.
نادت المرأة التي تتوسّط المسرح على رقم 25، فصاح أحدهم "بينغو!"
شقّت آليس طريقها بين الطاولات، أخذت البطاقة الرابحة، أمسكتها بيدها، أعادت المرأة الواقفة على منصة المسرح تلاوة الأرقام الفائزة،
قالت آليس مؤكدة "إنّها البطاقة الفائزة!"
أعلنت المرأة من المنصّة "بينغو! فاز كلٌّ من هذه السيدة وهذا السيّد باثني عشر دولارًا، تهانينا لهما"
لعب جيمس خمسة أدوار أخرى، دون جدوى، إحدى بطاقاته اقتربت من الفوز، لكن خذله الرقم الأخير من سلسلة الأرقام الخمسة، لينتهي الأمر بفوز شخص آخر، علّقت إيدث "كدت تفوز، أنا أراقبك!"
"إنّها تغيظني فحسب" قال جيمس.

نحّى بطاقاته جانباً، وترك حبوب المكسرات تنساب في يده. تذكّر حكاية الطفل الذي ألقى بذوراً من نافذة بيته لتنبت شجرة عملاقة طالت السماء، أخذه الخيال إلى مكان بعيد ثم تركه وحيداً.

قالت إيدث "ربما عليك أن تغيّر بطاقاتك"

أجابها "هذه ليست ليلتي"

ثم نظر ناحية الرفيقين -الفتى والفتاة- كانا يضحكان على أمر ما قاله الفتى، لاحظ أنهما لا يُعيران اهتماماً لأحد.

جاءت آليس كي تجمع المال لجولة جديدة من اللعب، شاهد جيمس الرّفيقين ذوَي البنطالين الزرقاوين وقد وضع أحدهما وعاء المكسرات فوق مجموعة من البطاقات اللاتي لم يدفعا قيمتها! تم الإعلان عن أرقام فائزة أخرى، عاد يراقب ما يصنعان مجدداً. اندهش ممّا رأى. نسي بطاقاته وتابع النظر نحوهما.

"جيمس، انظر في بطاقاتك، أنت لم تنتبه إلى الرقم 34" نصحته إيدث.

"أولئك الجالسان مكاننا، إنهما يغشّان، لا أصدّق ما أرى!" قال.

"وكيف يغشان؟" قالت.

"هما يلعبان ببطاقات لعب لا يدفعان ثمنها! لا بدّ أن أحدهم سيكشف أمرهما..." قال.

حدّثته إيدث بصوت منخفض، محاولةً التركيز في بطاقاتها، "لستَ المسؤول عن هذا يا عزيزي..." ثم أسقطت حبّة مكسرات على خانة رقم في بطاقتها.

"الرفيقان يغشان" قال جيمس.

تناولت إيدث حبة المكسرات من فوق خانة الرقم، سجلت مكانها رقمًا، قالت له "العب ببطاقتك"

عاد ينظر إلى بطاقاته، مع علمٍ مسبق بأن الفوز محال، فقد فاته سماع الأرقام التي كانت تُتلى من المنصة. قبض راحة يده على حبوب المكسرات.

نادت المرأة من المنصة على الرقم 60.

صاح أحدهم "بينغو!"

قال جيمس "يا رب"

أعلن عقبها عن استراحة لمدّة عشر دقائق يتوقف خلالها اللعب. بعد الاستراحة سيلعب الجميع البلاك آوت[4]. حيث سيشتري كل الحضور بطاقة بدولار واحد، وستسحب بطاقة واحدة، الجائزة المعلنة هي 89 دولاراً.

الحضور يشاهدون ويصفقون.

نظر جيمس نحو الرّفيقين، الفتى يمسّ قرط أذنه ناظراً نحو السقف، والفتاة تضع يدها على فخذه.

قالت إيدث "يتوجّب عليّ الذهاب إلى دورة المياه... ناولني علبة السجائر"

ردَّ جيمس " سأشتري بعض البسكويت والقهوة"

كرّرت إيدث "سأذهب إلى الحمّام"

لكن جيمس لم يذهب لشراء البسكويت والقهوة، عوضاً عن ذلك، ذهب خلف مقاعد الرفيقين ذوي البنطالين الزرقاوين.

"رأيت ما تصنعان!" قال لهما جيمس.

---

(4) بلاك آوت هي لعبة تحوي أربع بطاقات بينغو منفصلة، وعلى اللاعب أن يفوز فيها جميعاً. م.

"عفواً؟" التفت إليه الفتى ناظراً. "وماذا فعلنا؟"
ردَّ جيمس "أنت تفهم قصدي"
حينها كانت الفتاة تضع حبّة بسكويت على طرف فمها.
قال جيمس "أنا حَذِق، ورأيتك"
ثم عاد إلى طاولته، وقد كان ينتفض.
وبعودة إيدث ناولته علبة السجائر. جلست، لم تتكلم، ولم تظهر عليها علامات الارتياح.
نظر إليها جيمس متسائلاً "أحدث شيء؟"
أجابت "عاد النزيف مجدداً"
قال مستغرباً "النزيف!"
كان يعي ما قصدَت بالنزيف، كرّر الكلمة "النزيف!"
أجابته "نعم عزيزي"
تناولت بعض البطاقات، قال لها "علينا العودة إلى البيت إذًا"
واصلت صفّ البطاقات قائلةً "لا، لنبقَ، إنّه مجرّد نزيف"
أمسك يدها، قالت له "سنبقى، سأكون على ما يرام"
علّق جيمس "هذه أسوأ ليلة بينغو في التاريخ!"

حان وقت لعب البلاك آوت. ما زال جيمس ينظر إلى فتى البنطال الأزرق. يلعب الفتى ببطاقات لم يدفع ثمنها، من وقت لآخر يسأل إيدث عن حالها. لم يسنح الحال للكلام. كانت تعضّ شفتيها، لربما بداعي شعورها بالقلق أو الوجع، أو لعلّ هذه هي طبيعتها خلال لعبها هذه اللعبة بالذات.
ملأ ثلاث خانات أرقام في إحدى البطاقات، وخمس خانات في بطاقة

أخرى، لم يحالفه الحظ في كل البطاقات الثلاث. حينها صاحت الفتاة رفيقة فتى البنطال الأزرق "بينغو! بينغو! عندي بينغو!"
انطلق فتى البنطال الأزرق في التصفيق بينما يصيح معها "لقد فازت بالبينغو، فازت بالبينغو، يا رفاق!"
استمرّ الفتى في التصفيق.
المرأة التي تقرأ الأرقام من المنصة هي نفسها التي ذهبت إليهما لتتأكد وتقارن الأرقام بقائمة لديها فيها الأرقام الفائزة.
"هذه الشابة فازت بالبينغو البالغ قيمتها 89 دولار،" قالت. "لنصفّق لها جميعاً، أيها الحضور، بينغو البلاك آوت!"
صفّقت إيدث مع الحضور، بينما وضع جيمس يده على الطاولة.
احتضن فتى البنطال الأزرق فتاته عندما استلمت النقود من المرأة.
علّق جيمس "حتماً سيشترون المخدرات بتلك النقود!"

جلس الحضور لمواصلة اللعب. انتظر الجميع حتى يحين موعد اللعبة الأخيرة، لعبة تدعى بروغروسيف. من يفوز فيها يحصل على مبلغ مالي متراكم منذ مدّة، وإن لم يفز أحد سيرحل مبلغ الجائزة إلى الأسبوع القادم. كانت الجائزة الكبرى هي مبلغ مالي تراكم عبر أسابيع ماضية، وضع جيمس نقوده ولعب ببطاقاته، كان لعبًا بلا أمل، يترقّب خلاله أن يصيح فتى البنطال الأزرق "بينغو" مجدداً!
لكن لم يفز أحد، وسترحل الجائزة إلى الأسبوع القادم، وستتضاعف في المرة المقبلة.
"شكراً لحضوركم هذه الليلة، بارككم الله، وليلة سعيدة" قالت امرأة المنصّة.

خرج جيمس وإيدث من صالة اللعب متشابكي الذراعين، وتصادف أن سار أمامهما رفيقا البنطالين الزرقاوين، شاهدا الفتاة تطبّل على جيبها. شاهداها تلمّ بذراعها خصر فتاها.

"لا أطيق النظر إليهما..." قال جيمس.

لم تجد إيدث ما تقوله، لكنها تريّثت قليلاً حتى يرحلا من أمامهما.

الرياح نشطةٌ في الخارج. وقتئذ اعتقد جيمس جازماً بقدرته على سماع أصوات تشغيل محركات السيارات، ثم شاهدا رفيقَي البنطالين الزرقاوين يقفان عند الشاحنة الصغيرة.

بالطبع، كان عليه العثور على رابطٍ بين ما رأى وما حصل.

"هؤلاء الحمقى..." قال جيمس.

فور عودتهما إلى المنزل، دخلت إيدث الحمّام وأوصدت بابه، بينما نزع جيمس سترته ووضعها على الأريكة.

أدار التلفاز وجلس مكانه ينتظر.

بعد حين من الوقت، خرجت إيدث من الحمام. كان جيمس حينها منصرفاً إلى التلفاز.

قصدت إيدث المطبخ، فتحت صنبور الماء. سمع جيمس صوت إغلاق صنبور الماء. جاءت إليه في غرفة الجلوس.

"أعتقد أن عليَّ مراجعة الدكتور كروفورد صباح الغد،" قالت. "أظن حقاً أن هناك خطب أصابني هنا في الأسفل"

"هو الحظ العاثر!" قال.

وقفت مكانها تهز رأسها. غطت عينيه ثم مالت عليه حين طوّقها بذراعيه.

"إيدث، المحبوبة إيدث..." قال.
شعر بالخوف والذعر، وقف بينما ذراعاه تلمّان زوجته بدرجة أشد أو أقل ممّا كان. قبّلت شفته وودعته "ليلة سعيدة"

قصد الثلاجة، وقف عند بابها المفتوح وشرب عصير الطماطم، حينها أجال نظره في محتوياتها، بينما هواؤها البارد يهبّ عليه.
في الثلاجة معلّبات صغيرة الحجم، وحاويات طعام على رفوفها، ودجاجة مغلّفة بكيس بلاستيكي. كل ما في الثلاجة مرتب بطريقة أنيقة، كأنها مقتنيات مُصانة.
أغلق باب الثلاجة، صبّ الباقي من عصير الطماطم في حوض مغسلة المطبخ، تمضمض، وأعد لنفسه كوب قهوة سريعة التحضير، حمله إلى غرفة الجلوس. عاد للجلوس مقابل التلفاز، وأشعل سيجارة. مرت بباله خاطرة تقول إن معتوهاً واحداً يمكن أن يُشعل شرارةً يُحيل العالم بها إلى خراب.
دخّن سيجارته وأنهى قهوته، ثم أطفأ التلفاز. قصد غرفة النوم، وقف عند بابها منصتاً برهة من الزمن. شعر أن إنصاته ووقوفه كانا دون معنى.
لِمَ يحصل هذا معي أنا بالذات دون الناس؟! لماذا ظهر له ذانك الشخصان هذه الليلة؟ لماذا لا يحلّق الناس كالطيور في هذه الحياة؟! لماذا لا يصيب الآخرين المرض بدلاً عن إيدث؟!
ابتعدَ عن باب غرفة النوم، فكّر في الخروج للسّير قليلًا، لكن أصوات الرياح الجامحة في الخارج جاعلةً أغصان الأشجار تنتحب خلف المنزل.

عاد وجلس أمام التلفاز، لكن دون أن يُديره. دخّن سيجارة وراح يسترجع مشية الخيلاء التي سار بها الرفيقان أمامه. لو أنهم يعقلون، لو أن شخصاً أخبرهم، ولو مرّة واحدة.
أغمض عينيه متذكّراً أنّ عليه أن يستيقظ باكراً ليعدّ الإفطار ويأخذ إيدث إلى الدكتور كروفورد. تمنّى لو صادف الرّفيقين ذوي البنطالين الزّرقاوين عند الدكتور في قاعة الانتظار! سيخبرهما عن المستقبل الذي ينتظرهما. سيُطلعهما عن الوضع المُشين الذي سيعيشانه في الكبر، عن صعوبة الحياة ومشاقها. سيخبرهما عن الحياة بعد فورة الشباب، ما بعد البناطيل الزّرقاء، ما بعد أقراط الأذن، وما بعد الغشّ في اللعب.

نهض من مكانه وسار نحو مجلس الضيوف، أنار مصباح السرير العلوي. اختلس نظرة إلى أوراقه ودفتر الحسابات والآلة الحاسبة على طاولة المكتب. وجد زوجين من البيجامات في الخزانة. فرش اللحاف على السّرير. شقّ طريقه في المنزل عائداً كي يتفقّد الأبواب، ويتأكّد أن الأنوار مُطفأة. توقّف عند نافذة المطبخ لحظات ناظراً إلى المشهد الخارجي، ما زالت الرياح تهزّ أغصان الأشجار.
ترك أنوار الحديقة مُضاءة، وعاد إلى مجلس الضيوف، أزاح جانباً علبة أدوات الحياكة وطالَ علبة التطريز.
استراح على مقعده، أزاح غطاء علبة الحياكة وأخرج قطعة قماش جديدة مشدودة على قوس التطريز. هناك قطعة قماش بيضاء جديدة. رفع الإبرة الرّفيعة في الضوء. أدخل جيمس باكر خيط حرير أزرق في عين الإبرة، وبدأ بالتطريز، غرزة بعد غرزة. شعر وكأنه يموج مثل ذاك الرجل في تلك اللوحة.

مياه وفيرة في الجِوار القريب

يأكل زوجي بشهيّة مفتوحة رغم اعتقادي بأنه غير جائع فعلاً. يمضغ بينما ذراعه على الطاولة مُحدّقاً نحو شيء ما في الغرفة، يُرسل نظره نحوي ثم يصرفه بعيداً. مسح فمه بالمنديل، هزّ كتفه وواصل الأكل.

"لماذا تحملقين فيَّ؟!" قال. "ما السّبب؟" ثم وضع ملعقته.

"هل كنت أحملق؟" أجبته وأنا أومئ برأسي.

رنّ جرس الهاتف.

" لا تجيبي" قال.

"لعلها أمك" قلت.

"إذن أجيبي، وستعرفين"

رفعتُ سماعة الهاتف وأنصتّ. توقّف زوجي عن الأكل.

"ألم أقل لك؟" قال بعد أن أنهيت المكالمة، وراح يتناول طعامه ثانيةً. رمى المنديل في صحنه.

"اللعنة،" قال. "لماذا لا يهتم الناسّ بشؤونهم الخاصة؟ أخبريني ما الذنب الذي اقترفته! لم أكن الرجل الوحيد هناك، لقد تشاورنا جميعنا وقررنا جميعاً، لم نستطع العودة بهذه السهولة، كنا على بعد خمسة أميال عن سيارتنا، لا أقبل تمريرك الأحكام هذه،

أتسمعيني ؟"

"أنت الأعلم،" قلت.

"ما الذي أعلمه يا كلير؟" استطرد قائلاً. "قولي لي ما الشيء المفترض بي معرفته؟ أنا لا أعرف شيئاً عدا شيء واحد،" ثم نظر إليّ نظرة يعتقد أن لها دلالة. "لقد كانت ميتة، وأنا آسف لها، مثل البقية، لكنها كانت ميتة" قال.

"هذه هي النقطة" قلت.

رفع يده، ودفع الكرسي بعيداً عن الطاولة. تناول سيجارته وذهب إلى الفناء الخلفي حاملاً علبة بيرة. رأيته جالساً على كرسي الحديقة، عاد ليحمل الجريدة مجدداً.

ورد اسمه في الصفحة الأولى مقروناً بأسماء أصدقائه. أغمضت عيني ويدي على سطح مغسلة المطبخ. يدي تخمش سطح حوض المغسلة. وضعتُ ذراعي في الحوض وحرّكتها، ثم دفعت الصحون نحو أرضية المطبخ.

لم يبرح مكانه، أدرك كم هو رجل صلب، رفع رأسه متظاهراً بأنه يسمع، لكنه لم يتحرك، لم يلتفت.

أصدقاؤه هم غوردون جونسون، وميل دراون، وفيرون ويليامز، اعتادوا لعب البوكر والبولينغ وصيد السمك معًا كل فصل ربيع. أمّا بدايات فصل الصيف، أيّ قبل موعد نشاطاتهم الجماعيّة، فإنّه وقتهم المخصّص لزيارات الأقارب.

هي شلّة من الرجال اللطفاء، وهبوا أنفسهم لأسرهم، يهتمون لوظائفهم، ولديهم أبناء يقصدون المدرسة برفقة ابننا دين.

الجمعة الماضية، غادرت شلة الأصدقاء نحو نهر نانشيز، ركنوا السيارة عند سفح الجبل، وشرعوا يتسلقونه، متجهين نحو مكان يُخيّمون فيه ويصطادون السّمك. حملوا معهم حقائب حَوَت مَفارِش للنوم، وطعامًا وأوراق لعب وزجاجات ويسكي.

وقبل أن ينصبوا خيامهم رأوا الفتاة. ميل دراون هو أول من رآها، كانت عارية تماماً دون ثياب، عالقة في أغصان شجر نشبت في مجرى النهر.

تنادوا بينهم أن تعالوا انظروا، ثم تناقشوا فيما يصنعون، وكيف يتصرفون. قال أحدهم -ولم يخبرني ستيورات من هو- أن عليهم مواصلة رحلة الصيد، البقيّة كانوا يفركون أحذيتهم في الرمل. أجمعوا أنّ التعب قد أصابهم جرّاء المسير، والإعياء نال منهم. بعدها بساعة قرّروا ترك الفتاة كما هي، فهي لن تبرح مكانها!

في نهاية المطاف، عادوا أدراجهم مستكملين تجهيز المخيّم، ثم أوقدوا النار وشربوا الويسكي، وحين تجلّى القمر في السماء تحدثوا عن الفتاة. قال أحدهم إنّ عليهم إزاحة الجثة عن مجرى النهر. بعدها حملوا مصابيحهم اليدويّة وعادو إلى النهر. خاض أحد الرجال -قد يكون ستيورات- مياه النهر وانتشلها بسحبها من أصابعها إلى الضفّة، ثم تناول حبلاً من النايلون ربطه برسغها ولف بقيّته حول شجرة قريبة.

صباح اليوم الثاني أعدّوا إفطارهم وقهوتهم وشربوا الويسكي، ثم انطلقوا لصيد السمك، وفي المساء أعدوا وجبة السمك والبطاطا، وشربوا القهوة والويسكي، ثم حملوا باقي الطعام وعدّة الطّبخ إلى النهر ليغسلوها حيث رُبطَت الفتاة.

تسامروا بلعب الورق، ولعلّهم لعبوا حتى تعذّرت عليهم رؤية أوراق

اللعب. قام فيرون ويليامز لينام، بينما واصل الآخرون سهرتهم بسرد الحكايات. حدّثهم غوردون جونسون عن صعوبة صيد سمك السلمون المرقط بسبب البرودة القارصة لمياه النهر.

استيقظوا متأخرين صباح اليوم التالي، شربوا الويسكي، ولفترة قصيرة صادوا السمك، ثم فكّوا خيامهم وطووا حقائبهم وجمعوا أغراضهم ونزلوا من المرتفعات، اتجهوا بالسيارة نحو أقرب هاتف عمومي. ستويرت هو من اتصل مُبلّغاً الشّرطة. تحدّث مع مأمور الشرطة، بينما تحلّق حوله بقيّة الأصدقاء يستمعون. أعطى المأمورَ أسماء رفاقه، لم يكن هناك شيء ليُخفوه، ولم يشعروا بتأنيب الضمير. ثم عرضوا على مأمور الشرطة الانتظار حتى يأتي أحد من طرفه كي يدلّونه عن موقع جثّة الفتاة، وكي يُدلوا بشهادتهم.

كنت نائمة عندما عاد إلى البيت. صحوت على صوته في المطبخ. وجدته مستلقياً أمام الثلاجة، في يده علبة بيرة. طوّقني بذراعيه الثقيلتين، ومسح بيده الكبيرة على ظهري. في السرير عاد ليمسح ظهري بيده. تمهل منتظراً وكأنه يفكر في شيء.

انقلبتُ صوبه مفرجةً رجليّ، أعتقد أنه ظلّ مستيقظاً بعد فراغنا.

استيقظ صبيحة ذلك اليوم قبلي لينظر إن كتبَت الجريدة شيئاً. رنّ جرس الهاتف بعدها، سمعته يصيح "فليذهبوا إلى الجحيم!"

عاد الهاتف للرنين.

قال "لا شيء جديد أضيفه، لقد قلت كل ما عندي لمأمور الشرطة" ثم أغلق سماعة الهاتف بقوة.

"ماذا جرى؟!" سألته.

هذه الحكاية كما وصلتني أنقلها لكم.

لممتُ الصحون المكسورة. قصدته حيث كان في الخارج. كان مستلقياً على العشب، الجريدة وعلبة البيرة بجواره. سألته "ستيورات، هلّا خرجنا بالسيارة؟"

استدار نحوي، ورمقني بنظرة، قال "ولنشتري بعض البيرة"

نهض على قدميه وصفع مؤخّرتي -كما هي عادته سابقًا- وقال "أمهليني دقيقة"

سرنا بالسيارة صامتين نعبر المدينة، توقّف عند بعض الدكاكين على طرف الشارع. ثمّة رزمة من الجرائد، رأيتها عند مدخل الدكّان، وعلى الدرج شاهدتُ امرأة سمينة بفستان ملوّن، أخذت أصابع العرقسوس لطفلة كانت معها، بعدها عبرنا نحو جسر إيفرسنون الواصل بين ضفتي النهر، ومقصدنا المنتزّه. جدول النهر يشغل مساحة كبيرة ويمتد طولاً لمئات الياردات. من هنا، يمكنني رؤية الرجال يصطادون السمك.

مياه وفيرة في الجِوار القريب.

"لماذا تقطعون مسافات بعيدة وفي الجوار مياه وفيرة للصّيد؟" سألته.

"كُفّي عن إغضابي" قال.

جلسنا على دكّة نتشمّس. فتح علبة بيرة وقال "استرخي يا كلير"

"إنّهم أبرياء وقد اعترفوا بجنونهم" قلت.

سألني "مَن؟ عمّ تتحدثين؟"

أجبته "الأخوة مادوكس قتلوا فتاة اسمها آرلين هبلي، في المنطقة التي نشأتُ فيها، نحروها وألقوا بها في النهر، حينئذ كنت طفلة صغيرة"

"أنت تثيرين غضبي" قال.

نظرت إلى جدول النهر، كنت محقّة فيما قلت، وجدوا رأسها مجزوزاً بعينين مفتوحتين، أمّا جسدها فكان ممدّدًا بينما قفاها للسماء، شاخص بصرها للأسفل، نحو الطحالب. كانت ميتة.

في السيارة قال لي "لا أعلم ما خطبك، أنتِ تثيرين غضبي بأمور تافهة"

لم أقوَ الرّد عليه.

في الطريق، حاول تركيز بصره على الطريق، وفي كل مرّة يتحرّك، ينظر في المرايا الخلفية.

هناك شيء يعلمه.

اعتقد ستيورات أنه تركني نائمةً هذا الصباح. لكنّي صحوتُ قبل أن يُسكِت المنبّه. كنت حينها مُضطجعةً على طرف السرير سارحةً أفكر، بعيدة عن ساقيه الغزيرتين بالشّعر.

أوصل ديين إلى المدرسة، ثم حلق ذقنه، لبس وذهب إلى العمل. تنحنح مرتين ليختبر إن كنت نائمة أم لا، واصلتُ إغماض عيني.

وجدتُ في المطبخ كلمة (المُحبّ) مكتوبة على قصاصة ورقية.

جلست على مِنضَدَة الإفطار، شربت القهوة، رسمت دائرة على القصاصة، تصفّحت الجريدة، فَرَدْتُها على المِنْضَدَة، قرأتها بسرعة لأعرف ما كُتب فيها. تمّ التعرّف على الجثّة بعد أن انتُزعت منها أشياء، وقُطّعت إلى أشياء، ووُزِنَ منها أشياء، ثمّ أُعيدَت للجثّة وخيطَت.

استغرقتُ وقتاً في القراءة، ثم اتصلت بمصفّفة الشّعر لحجز مقعد.

جلستُ تحت مجفّف الشعر، وضعت مجلةً في حضني، وناولت مارين

أظافري. بدأتُ حواري معها:
"سأذهب غداً لحضور مراسم جنازة"
"أنا آسفة لسماع ذلك"
"هي جريمة قتل"
"هذا أسوأ!"
"هي ليست من أقاربنا... لكن، تعلمين..."
"إذن سأوليك عنايةً خاصّة من أجل هذه المناسبة"

ذلك المساء، حضّرتُ الأريكة كي أنام عليها، وفي الصباح استيقظتُ أوّلاً. جهّزت القهوة وأعددت الفطور، حينها كان يحلق ذقنه. أطَلّ من ممرّ المطبخ، والفُوطَة فوق كتفيه العاريين، كان يُقَيّم الوضع. قلت "هذه هي القهوة، والبَيض سوف يجهز خلال دقائق"
أيقظتُ دين، ثلاثتنا تناولنا الإفطار، ينظر إليّ ستيورات في كل حين. سألت دين إن كان يرغب في المزيد من الحليب أو الخبز... إلخ.
"سأتصل بك اليوم" قال ستيورات.
"لا أعتقد أني سأكون في البيت" أجبته.
"حسناً، لا بأس" قال.
ارتديتُ ثيابي برويّة، جرّبت وضع قبّعة، ونظرت لنفسي في المرآة، كتبت ملاحظة لابني دين على قصاصة ورق:

عزيزي، لدى أمك مهمّة لتنجزها ظهيرة اليوم. سأعود لاحقاً، انتظر في البيت، أو في الفناء الخارجي حتى يعود أحدنا.

المُحبّة
أمّك

نظرت إلى كلمة (المُحبّة) ثم رسمت خطاً تحتها، ثم نظرت إلى الكلمتين (الفناء الخارجي) وتساءلت إن كانت كلمة (الفناء) وحدها صحيحة لغوياً، أم أكتبها (الفناء الخارجي[5])؟

قدت السيارة نحو المزارع الريفية. قطعت حقول الشوفان والبنجر، عبرت البساتين، مررت بقطعان بقر ترعى العشب، سرت بمحاذاة أسوار البساتين الخشبية، الجبال على يميني وشمالي. وهناك بعيداً في الأسفل نهر ناتشيز.

شاحنة خضراء تسير ورائي، ظلت تتعقبني أميالاً، فكان أن خفّفت السرعة في أوقات يتعيّن فيها أن أسرع آملةً أن تتجاوزني، وزدت السرعة في أوقات يتعيّن فيها القيادة بتمهّل. أمسكت المقود حتى آلمتني أصابعي.

وصلتُ إلى طريق طويل يمتدّ فيه النظر، تأخّرت الشاحنة ورائي، ثم جاءت بمحاذاتي، كان رجلاً بشعر أقزع، يرتدي ملابس العمّال الزرقاء. تبادلنا النظرات. لوّح بيده. أطلق بوقَ سيّارته، وتجاوز ليحلّ أمامي. خفّفت سرعتي حتى وجدتُ مكاناً للوقوف، فوقفت وأطفأت محرك السيارة. تناهى إليّ صوت النهر أسفل الأشجار، ثم سمعت صوت شاحنته تأتي بجانبي.

أقفلتُ أبواب السيّارة ورفعت نوافذها.

"هل أنتِ بخير؟" قال لي.

"هل أنتِ على ما يرام؟" دقّ على زجاج السيّارة.

حدّقتُ فيه، لم أجد شيئاً آخر أفكر فيه.

(5) في النّص الأصلي تساءلت الأم إن كانت كلمة backyard تُكتب في كلمة واحدة متّصلة أو في كلمتين back yard. م.

"هل كلّ شيء على ما يرام؟" سألني. "أيُعقل أن تقفلي على نفسك هكذا؟"

هززت رأسي.

"أنزلي النافذة" قال.

أومأ برأسه ثم نظر إلى الطريق. عاد ليقول "أنزليها"

"أرجوك، عليَّ أن أذهب" أجبته.

قال متظاهراً أنه لم يسمعني "افتحي الباب... ستختنقين إن بقيتِ هكذا!"

كان ينظر إلى صدري وأفخاذي. بصدق، هذا ما كان يفعل.

"يا حلوة... أنا هنا لمساعدتك!" قال.

التابوت مغلق، تعتليه باقات ورود. البيانو عُزِفَ دقيقة. أخذت مكاني. الناس تأتي وتجلس في المقاعد. طفلٌ في بنطالٍ لامعٍ وقميصٍ أصفر قصير الأكمام، فتح الباب ودخلَت العائلة تباعاً، واتجهت إلى زاوية مكسوّة بالستائر.

ارتفع صوت حركة الكراسي مع جلوس الجميع في مقاعدهم، ثم ظهر مباشرة رجل أشقر لطيف بملابس سوداء أنيقة، وقف وطلب منّا أن نطأطئ رؤوسنا. تلا صلوات حول حياتنا ورحيلنا، ودعا لروحها وفراقها.

وكما فعل الآخرون، اقتربتُ من التابوت، ثم خرجت نحو عتبة الباب ألتمس نور شمس الظهيرة. رأيت امرأة عرجاء تنزل الدرج أمامي، ببلوغها الرصيف نظرت حولها، قالت "حسناً، قبضوا عليه... لو كان هناك عزاء جيّد، فهو القبض عليه صباح هذا اليوم، سمعتُ ذلك في

الإذاعة قبل وصولي إلى هنا. إنّه فتىً من هذه البلدة!"
تقدّمنا خطوات على الرصيف، الناس تُدير محرّكات سيّاراتها. وضعتُ الأمر جانباً ومرت نحو عدّاد مواقف السيارات. كانت أطراف سيارتي تلمع، صار رأسي يموج بالأفكار، قالت المرأة "أعرف هذه الفتاة منذ أن كانت طفلة، كانت تزور بيتنا، وكنت أعدّ لها الكعك وأسمح لها أن تأكله أمام تلفازنا"

في البيت، كان ستيوارت جالساً إلى طاولة الطعام، وأمامه زجاجة ويسكي. في لحظة جنون ظننت أن خطباً ما أَلَمَّ بابني دين، سألته "أين هو؟ أين دين؟"
أجابني زوجي "في الخارج"
شرب كأسه، أفرغه، ثم وقف، قال "أظن أنني أعرف ماذا تريدين"
أحاط خاصرتي بذراعه، وبيده الأخرى راح يفكّ أزرار معطفي، فقميصي .
"أولاً فأول" قال.
ثم ذكر شيئاً لم أكن في حاجة لسماعه، ولم أستطع أصلاً سماعه مع الصوت المرتفع لجريان الماء، فقلتُ "حسناً"
فتحت ما تبقى من أزرار ملابسي وحدي. قلت له "أسرع قبل أن يأتي دين".

السّبب الثالث الذي قتل والدي

سأخبركم عمّا أهلك والدي، السبب الثالث هو موت دومي، أما السببان الأوّلان فهما بيرل هابُر والانتقال للسّكن في مزرعة جدّي قُرب وينتاتشي حيث أمضى والدي ما تبقّى من حياته، ولربما مات حتى قبل موعد وفاته.

يحَمّل والدي زوجةَ دومي وزر موته، ثم يلوم السّمَك، وأخيراً يلوم نفسه، فهو من أطلع دومي على إعلانٍ نُشر على ظهر إحدى المجلّات حول تربية سمك القاروس الأسود الذي يُشحَن حيًّا إلى أيّ مكان في الولايات المتّحدة.

مُريباً بدا سلوك دومي بعد أن استلم السمك. لقد غيّر السمك شخصيته بالكامل، هذا ما يقوله أبي.

لم أعرف اسم دومي[6] الحقيقي، وحتى لو عرفه غيري فأنا لم أسمع أحداً يناديه باسمه الحقيقي، كلّ ما أتذكره الآن هو تجاعيده القليلة ورأسه الصّلعاء، ورغم قصر قامته إلا أن بنيته الجسدية أعطته قوّة في الذراعين والأرجل. إن تبسّمَ -وهو أمر نادر الحدوث- تتكشّف

(6) سُمّيَ "دومي" نسبةً إلى الأميّة، وهي بالإنجليزية Dummy وتم إطلاق هذا الاسم عليه لأنه مثل الأمية لا يسمع ولا يتكلّم. م.

شـفتاه عـن أسـنان بنيّة اللـون مكسّرة، تُعطيه مظهر اللئيم. عيناه النديّتان تتّجهان نحو فمك عندما تُحدّثه، وإن لم تتحدّث فإنّهما تتجـوّلان على جسـدك.

لا أعتقد فعلاً أنه أصمّ، على الأقل ليس الصّمَم الذي يتصنّعه، لكن أنا متأكد أنّه أبكم، وبكلّ ثقة سـواء أكان أصمًّا أم لا، فإنّه مجرّد عامل في منشرة أخشاب منذ العشرينات الميلاديّة.

كان ذلك في شركة كاسكيد للأخشاب بمدينة ياكيما في واشـنطن، في السـنة التي عرفته فيها كان عامل نظافة، تلكم السـنين لم تبدّله، أعني لم تغيّر قبّعته الصوفيّة وقميصه ذا اللون الكاكي وسترته الزرقاء ومعطفه. ما زال يحمل في جيبه العلوي محارم ورقيّة لتنظيف دورات المياه، فقد اقتضته وظيفته تنظيف الحمامات ومدها بمستلزماتها. شغل وقته في مراقبة أولئك العمال الذين يسرقون المحارم بوضعها في علب الطعام. يحمل دومي مصباحاً يدوياً على الدوام، حتى في النهار يحمله، كما ويحمل مفكّات المواسير والكمّاشات ومفكّات البراغي والأشرطة اللاصقة، تماماً مثل العدّة التي يحملها الفنّي في المنجرة، الأمر الذي جعل من دومي شخصية مضحكة، بسبب مظهره والعدّة التي يحملها معه دومًا.

وأسوأ الهازئين به هم كارل لـو، وتيد سليد، وجوني وايت. دائماً ما كان دومي يتجاهلهم، أظن أنه عوّد نفسه على ذلك.

لم يكن أبي من الهازئين به، ليس على حد علمي، كان أبي قوي الكتفين، له قَصّة شعر تشبه تسريحة الجنود، ونقرة على ذقنه وكرش كبير، هو ذلك الكرش الذي يُطيل دومي النظر إليه، هكذا دأب ينظر إلى كرشه كلما زار والدي في مقرّ عمله في قسم التعبئة، يجلس على

الكرمي الخشبي ينظر إلى كرش والدي المنشغل بجهاز الصّنفرة.

يملك دومي منزلاً كحال بقيّة الناس.

سقف بيته مغطّى بنسيج القطران العازل، ويقع على مُقرُبة من النهر على بُعد خمسة إلى ستة أميال من المدينة. وخلف منزله بمسافة نصف ميل، عند نهاية الأرض العشبيّة، ثمّة حفر كبيرة من الحصى حفرتها حكومة الولاية حين رصفت الطريق، مخلفةً ثلاث فوهات واسعة، وبمرور السنين امتلأت بالمياه، ومع الوقت تشكّلت منها بِرْكة واحدة كبيرة، عميقة داكنة.

ومثلما كان له بيت، كانت له زوجة.

زوجته تصغره بسنوات، يشاع أن لها علاقات جنسية مع شُبّان مكسيكيّين، وصف والدي ما يقال بأنه إشاعة قذرة يُطلقها رجال أمثال لوو، وسليد، ووايت. إنّها امرأة بدينة قصيرة بعينين لامعتين، قابلتها أوّل مرّة مع صديقي بيبت جنسن حين كنا نقود دراجتينا الهوائيتين وتوقفنا عند باب منزل دومي لطلب كأس ماء. حين فتحت الباب أخبرتها أنّي ابن ديل فريزر، قلت لها "والدي يعمل مع..."

ثم تذكّرتُ أنّي لا أعرف اسم دومي الحقيقي، فقلت "هو يعمل، تدرين، مع زوجك، وكنّا نقود الدراجة بقربكم ونرغب بشرب بعض الماء..."

"انتظر هنا،" قالت.

جاءت بكأسين معدنيّين صغيرين تحملهما بكلتا يدها. شربتُ الماء دفعة واحدة، ولم تعرض علينا شيئاً آخر، راقبَتنا بصمت، وعندما هممنا بالانصراف تقدّمَت نحونا حتى وصلت إلى طرف الحديقة وقالت "أيّها الرّفاق الصغار، لو كانت لديكما سيارة الآن لربما

أخذتماني في جولة معكما!

ثم تَبَسَّمَت، تبدو أسنانها أكبر حجماً مقارنةً بفمها.

"هيا لنذهب،" قال بيبت.

فرحلنا.

في هذا الجزء من الولاية لا تتوفر أماكن لصيد سمك القاروس، هناك بعض أسماك السلمون الملوّن ذي الرقوط، وبعض الأسماك التي تعيش في المرتفعات، وأخرى في بحيرة بلوليك، هذا هو كل المتوفّر عدا حالات نادرة تمرّ فيها أسماك السلمون أواخر فصل الخريف، وقد يكفيك هذا القَدر من الأسماك لو كنت صيّاداً، لكن الأمر لا يسري أبداً على سمك القاروس، فما أعرفه هو أن غالبية الناس لا تعرف هذه السمكة بالذات، ولم ترها إلا من خلال الصور، أما والدي فقد رأى كثيرًا من أسماك القاروس في ولايتَي أركنساس وجورجيا، حيث ترعرع. إنّ أُمنية والدي كانت اصطياد سمك القاروس مع صديقه دومي.

حين وصلت شحنة الأسماك كنت أسبح في حوض السباحة في المدينة. أذكر أنّي عُدتُ إلى البيت ثم خرجت مرة أخرى كي ألحق بأبي الذي ذهب ليساعد دومي في استلام شحنة من ثلاثة أحواض نقلتها شركة باركل بوست البريدية من باتون روج بولاية لويزيانا.

أخذَنا دومي في شاحنته الصغيرة. والدي ودومي وأنا. الأحواض الثلاثة نُقلَت في براميل خشبية مربوطة في المقطورة الخلفية للقطار. أُنزِلَت إلى رصيف التحميل ومنها رفع والدي ودومي الحمولة إلى الشاحنة الصغيرة.

قاد دومي شاحنته بحرص عبر المدينة، وبالحرص نفسه قادها إلى حيث منزله، ومنه اتّجه إلى فناء بيته دون توقّف. وحين عزمنا على إفراغ البراميل في بركة الماء كان الظلام قد حلّ، لذا اعتمرَ دومي قبّعة ذات مصباح، ثم حمل في يديه مطرقة وعتلّة حديديّة تناولهما من تحت مقعد سيارته. شرع الاثنان في إنزال البراميل ووضعها قرب البِرْكة، ثم فتحها لإفراغ ما فيها من سمك صغير، والبدء كان بأوّل برميل.

البرميل من الداخل مغلّف بعازل من الفابريك، وعلى غطائه فتحات تهوية بحجم أساور اليد.

رفعا البرميل، دومي يوجّه مصباح قبّعته نحو السمك. نظرتُ وإذ كأنها مليون سمكة قاروس بحجم أصبع اليد، تسبح هناك، وكأن محيطاً صغيراً قد جيء به على متن القطار.

أزاح دومي البرميل نحو حافة البِرْكة ثم سكب ما فيه. تناول بعدها مصباحاً يدوياً وجّهه إلى سطح البِرْكة، لم يكن هناك شيء ليراه في هذا الظلام، فحتى الضفادع يُسمع نقيقها ولا تُرى.

"لنُنْزِل بقية البراميل،" قال أبي.

ثم تقدم ليتناول المطرقة من معطف دومي، لكن دومي تراجع إلى الخلف وأومأ برأسه رافضاً.

وحده دومي تولّى فتح البراميل المغلقة. جرحَ نفسه. بقعة من دمه على الخشب.

تغيّر دومي بعد تلك الليلة إلى الأبد.

لم يسمح دومي لكائن مَن كان أن يقترب من بركته. وضع سياجاً

يُحيط بكلّ المنطقة العشبيّة، ثم أوصل سلكاً كهربائياً عارياً بالسياج، يُقال إن السياج كلّفه كلّ مدّخراته.

وبالطبع لم يكن في مقدور أبي فعل شيء مع دومي بعدها، خصوصاً بعد أن عامل أبي بفجاجة، ليس لأنه منعه من صيد سمك القاروس الذي ما زال صغيراً، لكن لأنه منعه من مجرّد إلقاء نظرة على البركة.

في إحدى الأمسيات، وبعد مضي عامين، حملتُ العشاء حيث كان والدي في مناوبة عمل مسائيّة، مع قارورة من الشاي المثلج. وجدته يتحدث مع الفنّيّ سيّد غلوفر. وقتئذ، سمعت أبي يقول له "أعتقد أن الأحمق تزوّج السمك، هذا ما توحي به تصرّفاته"

"أرى من الأجدر لو أنه ضرب السياج حول منزله" ردَّ غلوفر.

وحين رآني أبي، أبصرته يغمز بعينه إلى سيّد غلوفر.

ورغم ذلك، استطاع أبي أن يحقّق مراده أخيراً مع دومي، فماذا فعل؟

لقد أخبر دومي بأن عليه أن يُخرج الأسماك الهزيلة من البِركة ليُفسح المكان لبقيّة الأسماك الكبيرة. وقف دومي يشدّ أذنه ناظراً نحو الأسفل، أخبره أبي أنه سيزوره غدًا لأن الوضع يقتضي ذلك. لم يقل دومي (نعم) صراحةً، وفي الوقت نفسه لم يقل (لا). تمثّلت ردّة فعله في شدّ أذنه.

حين عاد والدي ليصحبني من البيت كنت متأهّباً أنتظر، أخذتُ طُعم سمك القاروس الذي في حوزة أبي منذ زمن، وفحصت خطّاف السمك بإصبعي.

"تعال اجلس،" ناداني أبي.

طلب مني أن أقود سيارته.

"أنا ذاهب إلى الحمّام، ضع عدة الصيد، ويمكنك أن تقود السيارة بنا إن رغبت" قال.

حملت كل شيء على مقعد السيارة الخلفي، ثم حاولت إدخال الصّنارة، وإذا بأبي أمامي معتمراً قبعة الصيد ويأكل بكلتا يديه شريحة من الكعك.

وقفَت أمّي عند الباب تشاهدنا، هي امرأة خوّافة، شعرها الأشقر مربوط نحو الخلف، وذيل شعرها معقوص وملموم بدبّوس مزيّن بأحجار ملوّنة. تساءلتُ إن كانت أمي ستودّ مستقبلاً العودة إلى هذه الأيام السعيدة، وعمّا تودّ فعله حقيقة.

أنزلتُ المكبح اليدويّ، بينما أمّي تراقبني وأنا أنقُل تروس المحرّك. ظلّت دون ابتسامة، ثم دخلت المنزل.

كان وقت ظهيرة، الجو لطيف، تركنا النوافذ مفتوحة يتدفق عبرها الهواء، اجتزنا جسر موسكي ثم انعطفت باتجاه الغرب، ومنه إلى شارع سلتر.

في جهتي حقول البرسيم، وحقول الذرة في طرف والدي.

مد والدي يده خارج النافذة ملاعباً الهواء المتدفق. كان قلقاً، فرأت ذلك في ملامحه.

لم تكن مسافة طويلة تفصلنا عن بيت دومي الذي خرج من بيته معتمراً قبعته الصوفيّة، وزوجته تنظر من النافذة، سأله أبي بصوت عال "هل حضّرَت مقلاة الطهي؟"

سكَنَ دومي مكانه، يعاين السيّارة، صاح أبي "أهلاً دومي، أين قصبة الصيد؟ دومي؟"

هزّ دومي رأسه إلى الأمام والخلف، ارتكز على ساق واحدة فقط،

ونظر إلى الأرض ثم إلينا، دفع لسانه تحت شفته السفلى ثم حرك قدمه في الرمل.

حملتُ العدّة على ظهري، ناولت أبي صنارته، وصنارتي معي.

"لننطلق... أنت... دومي لننطلق" قال أبي.

أنزل دومي قبّعته، وباليد نفسها مسح وجهه بمعصمه. استدار بسرعة وتبع والدي باتجاه سهل العشب، مشينا نخطو برفق على الحشائش التي تنثني ثم تعود منتصبة بعد عشرين قدماً تقريباً، في نهاية السهل هناك انحدار طفيف مُوحِل ومغطى بالحصى، وشجيرات شوكيّة صغيرة منتشرة هنا وهناك، قطعناها من جهة اليمين نتتبع الأثر القديم للشاحنة، عبر السهل هناك حقل من نبات الصقلاب وسنابل الحشائش الجافة التي تحمل سيقانها سنابل تغضَب إن دسنا عليها، أرى الآن لمعان الماء من خلف كتفي دومي، سمعت أبي يصيح "يا إلهي... انظُر لهذا!"

تباطأ دومي وشرع يرفع يده ويلوح بقبعته للأمام والخلف، ثم تصلَب مكانه.

"إذن، بماذا تفكر يا دومي؟ الجهات جميعها جيدة للتمركُز، ستختار أي جهة؟" قال والدي.

مصّ دومي شفته السفلى.

"ماذا دهاك، دومي هذه بركتك، أليس كذلك؟!" قال أبي.

أطرق دومي ينظر للأسفل، ثم أمسك نملة كانت على معطفه.

"إذن، اللعنة..." قال أبي.

بثّ نَفَساً مكتوماً من صدره، نظر إلى ساعته.

"إذاً ما زلت موافقاً، سنبدأ الصيد قبل حلول الظلام..." قال أبي.

أدخل دومي يديه في جيوبه وعاد باتجاه البِرْكة، واصل المسير مرة أخرى، ومشينا وراءه، الآن نستطيع رؤية البِرْكة بالكامل والسمك يسبح فيها، في كل حين نرى القاروس يثب ثم يعود للماء، سمعت والدي يقول "الله أعظم!"

اخترنا جهة ذات إطلالة على البِرْكة، تشبه الشاطئ الحَصَويّ.
دعاني أبي بإشارة، ثم أنزل عدّته أرضاً، وكذلك فعلت. كان يُمعن النظر في الماء أمامنا، وأثناء ذلك رأيته يتحدث إلى نفسه هامساً "مُخلِصُون للرّب..."
سرب من أسماك القاروس تُبحر، عشرون أو ثلاثون سمكة، لا يقل وزن أصغر واحدة منها عن باوندين، تسير في اتجاه ثم تقفل عائدة، تسبح متراصّة وكأنها ستتصادم، يمكنني رؤية عيونها الجاحظة تراقبنا كلما اقتربت منا، ثم تغوص مختفية لتعاود الظهور تارة أخرى.
كأنها تُغرينا بصيدها، لم تكن حركتها أو سكونها سيغير من قرار صيدها، الأسماك لا تُعيرنا اهتماماً، كان مشهداً خلاباً.
لبثنا مكاننا قليلاً نشاهد أسراب سمك القاروس تمضي ببراءة في حال سبيلها.
طوال هذا الوقت كان دومي يشدّ أصابعه وينظر حوله، وكأنه يترقّب حضور أحد ما، وفي كل أنحاء البِرْكة ترتفع أسماك القاروس محركة رؤوسها، تقفز وتعود للماء، وتظهر للسطح سابحة مُبدية زعانفها.

أشار أبي بأن أقترب قليلاً، أعترف أني كنت أنتفض من الإثارة، بالكاد تناولت قصبة صنارتي لأُركب عليها عجلة الصيد وأشبك الطُّعم.

وإذا بدومي يمسك كتفيّ بأصابعه الكبيرة، نظرت، كان يحك ذقنه ويشاهد أبي، ما أراده كان واضحاً للغاية، يقصد أن صنارة واحدة فقط يمكنها الصيد.

رفع والدي قبعته ثم أنزلها على رأسه، وتقدم نحوي ، قال "أنت يا جاك، حسناً يا ولدي، أنت من سيصطاد الآن"

نظرت إلى دومي وأنا أمسك صنارتي. تصلّب وجهه. شيء من اللعاب سال على ذقنه، قال أبي "تعال لتصطاد السمك"

ثم قال "أولاد الحرام لديهم أفواه قوية وكأنها مقابض الأبواب"

أدرتُ عجلّة الصيد، ثم أرجعت قصبة الصنارة للوراء لأرسلها مسافة أربعين قدماً. بِرْكة الماء تفور حتى قبل أن أصلب الخيط، قال أبي "أمسكهم... أمسكهم أبناء الحرام... أمسكهم جيداً!"

عُدت بقوّة للوراء مرتين، علقَت سمكة بالخيط، تقوّست القصبة للأسفل، ثم عادت للأعلى، استمرّ أبي يصيح ويرشدني ماذا أفعل قائلاً "أرخِ قليلاً، دعها تتحرك، أعطها فرصة للهرب، أفسح لها المجال، والآن شد، اسحب، لا تدعها تهرب، وااو، انظر لهذا!"

السمكة تتراقص في البِرْكة. تظهر رأسها بقوة. تعاود فعلتها. صوت مقاومة الموت يُسمع بوضوح. سأتفوق عليها وأصيدها، شيئاً فشيئاً، هزمتها، سحبتها للأعلى.

هي سمكة عملاقة ربما تزن ستة أو سبعة باوندات، تحرك جسدها، ترتجف، فمها مفتوح وخياشيمها تنفتح وتنغلق، بالكاد أستطيع الوقوف، لكنّي رفعت القصبة عالياً وشددت خيطها.

خاض أبي في الماء لمستوى حذائه، وعندما وصل للسمكة أخذ دومي يصرخ ويصيح، ويهز رأسه ويلوح بذراعيه، قال والدي "جحيم، والآن

ما عندك؟! الصبي أمسك بأكبر سمكة قاروس رأيتها في حياتي، أتريد أن أعيدها للبركة؟! بالله!"

واصل دومي التلويح بيده في اتجاه البركة، قال أبي "لن أقول للصبيّ أن يُفلت السمكة، ابحث لك عن عقل آخر إذا فكّرت أنّي سأخضع لطلبك!"

اقترب دومي بجانب مرمى صنارتي وأمسك بالخيط. والدي يمسك بالطرف الثاني. بدأت سمكة القاروس تقاوم لتهرب. أبي يشد ودومي يشد. انقطع الخيط فصرختُ فاقداً توازني. وقعتُ على ظهري. استعادت السمكة قواها وهربت.

"تعال يا جاك" نادى والدي.

كان ممسكاً صِّنَارته ويقول "اللعنة على الغباء، تعال قبل أن أطرحه أرضاً"

خلال شهر فبراير من العام اللاحق، فاض النهر.

في أوّل أسبوع من ديسمبر هطل الثلج بكثافة، وصار الجوّ بارداً قُبَيل أعياد الميلاد. الجليد والثلوج غطيا الأرض، ومع نهاية شهر يناير ضربت رياح الشينوك، استيقظتُ لأسمع الرياح تضرب بيتنا وزخات المطر تواصل الطرق على سطح المنزل.

عصفت الرياح خمسة أيام. في اليوم الثالث ارتفع منسوب النهر. قال أبي وهو ينظر إلى الجريدة "منسوب الماء ارتفع إلى خمسة عشر قدماً، ما يعني أنه أكثر بثلاثة أقدام عن منسوب الفيضان العادي، دومي العفِن سيفقد أعزّاءه!"

أردتُ الذّهاب كي أرى منسوب الماء من جسر موسكي، لم يسمح لي أبي

معلّلاً ذلك بأن الفيضان ليس شيئاً يُرى بالعين، بعدها بيومين فاض النهر مدًّا ثم انزاح جزراً.

خرجتُ صباحاً مع أورين مارشل وداني أوينز لقيادة الدراجة عقب الفيضان بأسبوع، قاصدين مكان دومي. أوقفنا درّاجتنا الهوائيّة ومشينا نقطع المرعى المحيط بمكان دومي. كان العشب مبتلاً والرياح نشطة والغيوم قطعاً داكنة تهرول في السماء، والأرض زلقة. ثمّة حُفَر في الطريق ملأها الماء بين الحشائش الكثّة، وللتوّ داني قد تعلم الشّتم، وصار يطبّق ما تعلّمه على الرياح مع كل خطوة يخطوها بحذائه. يمكننا رؤية النهر عند حدود المرعى يجري ممتلئاً، حيث منسوب الماء ما زال مرتفعاً ويجري خارج مساره، متدفّقًا في جداول بين جذوع الشجر ويقضم التراب. في وسط النهر يندفع الماء ثقيلاً مسرعاً، حاملًا معه بعض الأشياء أحيانًا، تلك شجرة مع غصونها تغفو على سطحه. بلغنا سياج أرض دومي لنجد بقرة عالقة في السلك الكهربائي، كانت متعفّنة منتفخة، لون جلدها رماديّ، كانت أكبر جثّةٍ أراها في حياتي. أتذكّر أنّ أورين تناول عصا ومسّ بها عين البقرة المفتوحة.

تحرّكنا في اتّجاه السياج من ناحية النهر. تجنّبنا الاقتراب من السّياج أكثر خَشية أن يكون مكهرباً. في الطرف كانت هناك قناة مائية، هبطت الأرض طولياً بامتداد السياج، ثم اكتشفنا أن القناة قد اخترقت أرض دومي نحو البركة، لتمر عبرها وتصلها بالنهر، لم يبقَ مجال للشك بأن معظم أسماك دومي قد حملها الماء خارج البركة، وما بقي منها كانت تروح في القناة وتغدو.

ثم لمحتُ دومي. أرعبتني رؤيته. نبّهتُ أصدقائي. فانبطحنا أرضاً.

كان دومي واقفاً في ناحية بعيدة من البِركة قُرب القناة التي تتّصل

بالنهر، لم أشهد في حياتي رجلاً في حزنه.
"أشعر بالأسف لحال دومي العفن رغم ما بدر منه،" قال والدي.

بعدها بأسابيع، تحدث أبي على طاولة العشاء عمّا حكاه له جورج لايكوك. لقد رأى زوجة دومي في أحد الملاهي برفقة صديقها المكسيكي الضخم، قال والدي "بالمناسبة هذا الشيطان المسكين قد جنى على نفسه، تتعذر مساعدته تجنباً للتورط معه... ما قلته لا يعدو نصف الحكاية!"

نظرَت إليه أمي بحدّة ثم نظرت إليّ، تظاهرت بأني لم أسمع شيئاً وأكملت طعامي.

تبدل حال دومي كثيراً، لم يعد يختلط بزملائه إطلاقاً، كما ولم يجرؤ أحدٌ على المزاح معه، خصوصاً بعد أن طارد كارل لوي بعتلة نِجارة من مقاس 2 في 4 إنشات. والأسوأ من ذلك هو أنّه كان يتغيّب عن العمل ليوم أو يومين كلّ أسبوع، حتى راج حديث بأنهم عازمون على تسريحه من العمل.

"الرجل تجاوز الحدود... إن لم يُسعف نفسه فسيغدو مجنوناً بشكل رسميّ!" قال أبي.

ظهيرة يوم الأحد، قبل عيد مولدي، كنت منهمكاً في تنظيف الكراج مع والدي، الجو في الخارج كان حاراً وعاصفاً، يمكنك مشاهدة الأتربة عالقة في الهواء. جاءت أمي عبر الباب الخلفي قائلة "ديل، هناك مكالمة لك، أعتقد أنه فيرن"

تبعتُ أبي لنغتسل، وأثناء حديثه في الهاتف، نحى السماعة وقال "إنه

دومي، قتل زوجته بمطرقة ثم أغرق نفسه، فيرن سمع النبأ قبل قليل، فقد بات ينتشر في البلدة"

بوصولنا وجدنا السيارات مركونة في كل اتجاه حول موقع الحادث، باب السياج مفتوح، أستطيع رؤية أثر السيارات تقود إلى البِرْكة، ومدخل نصبته الشرطة وعيّنت عليه حارساً، الحارس يتكئ على صندوق، تركت البثور حفراً في وجهه، يرتدي بنطالًا فضفاضًا وقميصًا رياضيًا، وعلى كتفه حزام مسدس. قال أبي للرجل "أنا كنت صديقه"

هزّ الرجل رأسه قائلاً "اذهب من هنا، لا أهتم بمن تكون، إلا إذا كان ثمّة داعٍ لبقائك"

سأله أبي "هل وجدوه؟"

أجاب "لقد وضعوا شبكة صيد"

عدل الرجل حزام مسدسه، قال أبي "هل يمكنني العبور، فأنا أعرف الغريق جيداً"

أجاب الرجل "جرّب حظك، وإن تنبّه لك رجال الشرطة لا تدّعي أنّكَ لم تُحَذّر"

عبرنا المرعى، سلكنا الطريق نفسه الذي مررنا فيه ذلك اليوم حين ذهبنا لنصطاد. في البِرْكة قوارب تصدر عوادمها دخاناً، يمكنك رؤية الماء المرتفع قد تخطّى اليابسة حاملاً معه الأشجار والحجارة، على القاربين رجلان بملابس العمل الرسميّة يجوبان البِرْكة ذهاباً وإياباً. الأوّل ينظر إلى الثاني الذي يحمل حبلاً بخطّاف. سيارة الإسعاف تنتظر في المكان نفسه الذي اخترناه لصيد سمك دومي، وثمّة رجلان آخران يجلسان في الخلف يدخنان السجائر.

أحد القاربين توقف، نظرنا نحوه، الرجل في الخلف وقف ممسكاً الحبل، مضى بعض الوقت، ثم خرجت ذراع من الماء. كانت يد دومي عالقة في الخطاف. الذّراع تكرّر الصعود والنزول، قد تكون عالقة بشيء آخر.

هذا ليس هو، تمنّيت ذلك، لعله شيء كان هنا منذ سنوات، الرجل في القارب الأمامي يعود للخلف، والبقية تجرّ شيئاً، نظرت إلى وجه أبي، تعبيرات وجهة كانت مضحكة.

"النساء!" قال أبي. "هذا ما يمكن أن يصنعه هذا النوع السيء من النساء، يا جاك"

رغم ذلك، لا أعتقد أن أبي يؤمن بما قاله، أعتقد أنه لم يعرف على مَن يُلقي اللوم، أو ماذا يمكن أن يقول، في رأيي إنّ كل شيء انعكس سلبًا على أبي بعدها، تماماً مثلما حصل مع دومي، تبدّل حال أبي بعد الحادثة.

الذراع ترتفع طافية ثم تهبط في الماء، وكأنها تودّ أن تقول "الأوقات السعيدة صارت بعيدة المنال، أهلاً بالأوقات البائسة"

وفعلاً كان ذلك بعد سنوات من انتحار دومي غرقاً في المياه الداكنة، هل هذا ما يحدث عندما يموت الصديق؟! هل يتتبع الحظّ العاثر بقية الأصدقاء؟

كما سبق وقلت، إن بيرل هاربُر والانتقال إلى مزرعة جدي لم يكونا بشائر خير عليه.

كلام مُهمّ

سيّارة فيرا هناك، ولا أحد سواها، يتعيّن على بيرت الامتنان لذلك. دخل بسيارته نحو الممر ثم صَفَّها قرب فطيرة سقطت منه مساء الأمس، ما زالت في مكانها، مقلوبة في كأس من ورق الألمنيوم، سالت منها على الرصيف بقعة من حَشوة اليقطين.

كان ذلك في اليوم التالي لأعياد الميلاد.

جاء يزور زوجته وأولاده في الأمس، وقد نبّهته فيرا قبلها بأنها مرتبطة بموعد، قالت له إن عليه المغادرة قبل السادسة مساءً حيث سيزورها صديقها مع أبنائه لتناول العشاء. لذا جلسوا في الصالة لتبدأ مراسم فتح الهدايا التي أحضرها بيرت، فتحوا أغلفة هداياه وظلت باقي الهدايا ملفوفة في مغلفاتها الباهية، مرتّبة بعضها فوق بعض تحت شجرة عيد الميلاد في انتظار ضيوف الساعة السادسة مساءً.

راقب أبناءه يفتحون هداياهم، وانتظر أن تزيل فيرا الشريط عن هديّتها. رآها تفتح طرف التغليف الورقي وتتناول الدُّرَّاعة الكشميرية.

"جميلة، شكراً بيرت،" قالت.

"جربيها!" قالت ابنتها.

"البسيها!" قال ابنها.

نظر بيرت إلى ابنه ممتناً لدعمه. جرّبت الدرّاعة. أخذتها إلى غرفة النوم وعادت ترتديها.

"جميلة،" قالت.

"جميلة عليك!" علّق بيرت بمشاعر فيّاضة.

فتح هديّته التي أحضرتها له فيرا. كانت عبارة عن قسيمة مشتريات من محلّ رجاليّ. أهدته ابنته مشطاً، وأهداه ابنه قلم حبر سائل.

قدّمت فيرا شراب الصودا، وتحدّثا قليلاً، في أغلب الأحيان ينصرف نظرهما ناحية شجرة عيد الميلاد، نهضت الابنة لتحضر سفرة الطعام وغادر الابن إلى غرفته.

أما بيرت فهو مُنبَسِط بالجلوس حيث هو، مال على واجهة المدفأة، والكأس في يده، هو في منزله ومكانه.

ذهبت فيرا إلى المطبخ.

بين الفينة والأخرى، تدخل ابنته غرفة الطعام لتضع شيئاً على الطاولة. راقبها بيرت. رآها كيف تزيّن كؤوس النبيذ بالمحارم، وتضع المزهرية وسط الطاولة، ثم تنسّق الزهور فيها بكل حرص.

شمعة عِطرية صغيرة وحزمة نشارة خشب في المدفأة. كرتونة أخرى من خمس رزم موجودة على رف المدفأة. نهض عن الأريكة نحو المدفأة ووضع الرزمة فيها، شاهدها النّار تشبّ فيها. أنهى شراب الصودا وقصد الباب الخلفيّ ناحية الحديقة. في طريقه شاهد فطائر مصفوفة. حمل بين ذراعيه ستّ فطائر، كل فطيرة ترمز لموقف آذته فيه زوجته.

الممرّ الخارجي مُظلِم. سقطت إحدى الفطائر بجانب الباب.

الباب الأمامي مغلق دائماً، والسبب هو أن بيرت كسر المفتاح في داخله، لذا توجّه إلى الباب الخلفي، كانت هناك باقة عيد ميلاد خضراء تزيّن الباب. اختلس نظرة عبر النافذة. رأى فيرا برداء الحمّام، نظرت إليه ثم عبست، فتحت له شطراً من الباب.

"أود الاعتذار منك عمّا حدث بالأمس، وأعتذر للأولاد" قال بيرت.

"الأولاد ليسوا هنا" قالت.

كانت تقف في مدخل المنزل وهو في الحديقة قرب شجرة الفيلوديندرون، يكلّمها وينسُلُ خيطًا من قميصه.

"لا أتحمل أكثر، كدتَ تُحرق المنزل في عيد الميلاد بالأمس!" قالت له.

"لم أفعل" قال.

"بل فعلت والجميع شهود" أجابته.

"هل يمكنني الدخول للتحدث بشأن ما جرى" قال.

أحكمَت إغلاق رداء الحمّام حول رقبتها ومضت لداخل البيت.

"يتعيّن عليّ التوجّه إلى مكان ما خلال ساعة" قالت.

نظر حوله، وجد مصابيح شجرة الميلاد تومض وتخبو تباعًا، وكومة من المحارم الورقيّة المُلَوَّنة وعلب لامعة على طرف الأريكة، وديكًا روميًا نيّئًا على صحن كبير يتوسّط طاولة غرفة الطعام. منظره مع الجلد والبقدونس حوله وكأنه في عُشّ كريه. أعقاب سجائر في المَنْفَضَة، وعلب فارغة من شراب الكولا أيضاً. هناك أثر لدخان تصاعد مخلّفاً سواداً على لوح المدفأة المعدنية حيث تفحّم الخشب.

جالت فيرا في الصالة ثم ذهبت إلى المطبخ.

"متى رحل صديقك الليلة الفائتة؟" سألها.

"إذا كنت ستبدأ حديثك بهذا كلام، فيمكنك المغادرة فوراً" أجابته.

سحب الكرسي وجلس إلى طاولة المطبخ، أمامه مَنْفَضَة سجائر كبيرة، أغمض عينيه وفتحهما، أزاح الستارة ونظر ناحية الفناء الخلفي، رأى دراجة هوائية بلا عجلات وُضِعَت مقلوبة رأساً على عقب، ورأى الحشائش قد نمت على طول السياج الخشبي الأحمر.

فتحت ماء الصنبور على المِقْلاَة.

"هل تذكر عيد الشكر؟" سألَته. "أقول إنها آخر عطلة أفسدتها علينا، أكلنا في العاشرة مساءً اللحم المقدّد والبيض بدل الديك الرومي!"

"أعلم، وأقول آسف" قال. "ألا تكفي آسف!"

أضاء مصباح الفرن مرّة أخرى، هي تحاول تشغيل نار المَوْقِد تحت وعاء الماء.

"لا تُحرقي نفسك... لا تدعي النّار تمسّك" قال لها.

تخيّلَ أن تصل النار إلى رداء الحمام، ثم سيقفز من الطاولة طارحاً نفسه على الأرض، ثم سيسحبها إلى الصالة، ويجرّها جرًّا وهو يحتضنها بجسمه، ولربما هرع إلى غرفة النوم ليجيء بملاءة. خاطبها قائلاً "فيرا..."

نظرت إليه. سألها "هل لديكم شيئاً للشرب؟ فأنا تائق للشراب منذ الصباح"

"هناك بعض الفودكا في الثلاجة" قالت.

"ومنذ متى وأنتِ تحتفظين بالفودكا في الثلاجة؟!" قال.

"لا تسأل" قالت.

"حسناً... لن أسأل" قال.

تناول زجاجة الفودكا وصبّ لنفسه في كوب وجده على منضدة المطبخ.

"هل ستشربه هكذا؟ في الكوب؟!" قالت. "يا إلهي يا بيرت، على كل حال عمّ تودّ الحديث؟ أخبرتك أن عليّ الذهاب إلى مكان ما، لدي تمرين على المزمار بعد ساعة"

"ما زلتِ تتدربين على المزمار؟" قال.

"هذا ما قلته لك،" قالت. "لذا أخبرني، أخبرني عن ما يجول في نفسك، ثم علي الاستعداد للخروج"

"أريد الاعتذار فقط" قال. "ولو توفّر عندك العصير، فإنّي أودّ خلطَه بالفودكا"

فتحت الثلاجة وبدأت تبحث له؟ قالت "ثمّة عصير كرزٍ بالتفّاح"

"هذا جيد" قال.

"أنا ذاهبة للحمّام" قالت.

شرب كوباً من عصير الكرز بالتفاح مع الفودكا، ثم أشعل سيجارة ورمى عود الثقاب في منفضة السجائر الكبيرة الموجودة دوماً على طاولة المطبخ. دقّق في أعقاب السجائر التي تُركت فيها، دقّق فيها، بعضها يعود إلى فيرا والباقي ليس لها، بعضها من الماركة التي تدخّنها فيرا والباقي ليس لها، بعض الأعقاب لونها أرجواني، أخذها كلها وألقاها في حاوية القمامة أسفل حوض مغسلة المطبخ.

منفضة السجائر هذه لا تُعتبر منفضة، هي ماعون حجريّ ابتاعته فيرا من رجل مُلتَح في المركز التجاري.

غسل المَنفَضَة وجفّفها، وأعادها إلى مكانها على الطاولة، ثم أطفأ فيها سيجارته.

كان الماء في المغسلة يبقبق نازلًا في فُتحتها عندما سمع باب الحمام

يُفتح عبر صالة الجلوس، وصوتها تناديه قائلة "أجب على الهاتف، أنا أستحم الآن"

هاتف المطبخ موضوع على المنضدة في الزاوية خلف مِقلاة التحميص. رفع السماعة. سمع سائلاً يقول "هل تشارلي هنا؟"

"لا" قال.

"حسناً" قال المتّصل.

وحينما كان ينظر إلى القهوة، رنّ الهاتف مرة أخرى. سمعه يسأل مجدّدًا "هل تشارلي هنا؟"

ردَّ عليه "غير موجود"

وبقيت السماعة مرفوعة لباقي الوقت.

عادت فيرا إلى المطبخ مرتدية بنطال جينز وقميصاً، وكانت تمشّط شعرها. وضع ملعقة من القَهْوَة سريعة التحضير في كوب ماء ساخن وخلطه بالفودكا، حمل الكوب إلى الطاولة.

رفعت سماعة الهاتف، استمعت، ثم سألته "من هذا، من كان على الخط؟"

أجابها "لا أحد... من هو الذي يدخّن السجائر ذات الأعقاب الملوّنة؟"

"أنا" قالت.

علّق "لم أعلم أنك تدخّنيها"

قالت "حسناً، أنا أدخّنها"

جلست أمامه تشرب قهوتها. دخّنا السجائر. استعملا منفضة السجائر نفسها. كان يحمل أمورًا يودّ قولها، كلامًا فيه ندم وأسف. مواساة. وشيئًا من ذاك القبيل.

"أنا أدخّن ثلاث علب في اليوم" قالت فيرا. "هذا إذا أردتَ فعلاً أن تعرف ما يحدث"

"بالله العظيم!" قال بيرت.

أومأت فيرا برأسها.

"لم آتِ هنا لسماع ذلك" قال بيرت.

"وما الذي جاء بك؟!" قالت. "ما الذي تودّ سماعه؟ هل وددت سماع خبر حريق كان سيحوّل المنزل إلى ركام؟"

"فيرا، إنّها مناسبة عيد الميلاد، ولهذا جئت هنا" قال.

"هذا هو اليوم التالي لعيد الميلاد،" قالت. "العيد جاء ومضى، وأنا لا أرغب أبداً بمناسبة أخرى"

فقال لها "وماذا عنّي؟ هل تظنين أنّي أنتظر الأعياد؟"

رنّ الهاتف مجدّدًا، رفع بيرت السمّاعة، قال "أحدهم يودّ الحديث مع تشارلي"

"ماذا؟" سألته.

"تشارلي!" قال.

تناولت فيرا الهاتف، استدارت تتحدث جاعلة بيرت وراءها، ثم استدارت نحوه قائلةً "سأكمل المكالمة في غرفة النوم، فلو تكرّمت دع السماعة مرفوعة لأتناولها من الغرفة، وأقفل الخطّ عندما أطلب منك ذلك"

تناول السماعة، وغادرت هي المطبخ، سمع صوت رجل يتنحنح، سمع صوت فيرا ترفع الخط الثاني، صاحت "ألو، بيرت، رفعتُ السمّاعة الآن، بيرت..."

وضع السماعة وظلّ ينظر إليها، فتح دُرج معدّات المطبخ وبحث فيه، ثم فتح درجاً آخر، نظر ناحية حوض المغسلة، ثم قصد غرفة الطعام وأحضر سكين التقطيع، وضعها تحت الماء الساخن حتى زال عنها الزّيت، ثم مسحها بكمّ قميصه، بعدها قصد الهاتف، وصل إلى السلك الرئيس للهاتف، ثم قطعه بالسكين بضربة واحدة. أعاد الهاتف بعدها إلى مكانه في الزاوية خلف مقلاة التحميص.

عادت قائلة "انقطعت حرارة الهاتف، هل فعلتَ شيئًا؟"

نظرت إلى هاتف المطبخ، رفعته عن المنضدة، صرخت "أخرُج، أخرُج، ما أنت! لأيّ فصيلةٍ تنتمي!"

كانت تلوح بالهاتف في وجهه، قالت "هذه هي النهاية، سألجَأ إلى مُقاضَاتك، سأطلب حكماً يرغمك أن تبتعد عني، هذا ما سأفعله"

خَبَطَت الهاتف على المِنْضَدَة فأصدر صوت قَعْقَعَة.

أكملت "سأذهب إلى بيت الجيران وأتصل بالشرطة إذا لم تخرج من المنزل الآن"

تناول مَنفَضَة السجائر، أمسكها من طرفها، كان وكأنه لاعب يتأهب ليرمي القرص الطائر.

قالت "عفواً، هذه المَنفَضَة لنا"

خرج من الباب الخلفي دون سابق نيّة. هكذا وجد نفسه يعبر الباب. تمنى أن يملك حُجّة يوضح بها أمراً. أمراً يستوجب أن يكون بينهما كلام مهمّ حوله وفي الحال. هناك أشياء تتطلب الحديث بشأنها. أشياء عاجلة. أمور مهمة تتطلب النقاش. تُحتّم عليهما الحديث مجدداً. قد يتسنى لهما ذلك بعد عُطلة العيد. حينها ستتجاوز ما

حصل وتعود الحياة طبيعية. سيأتي ليُخبرها -مثلاً- أن مَنْفَضَة السجائر الملعونة كانت ذات يوم ماعونًا ملعونًا.

توقّف بجانب الفطيرة الملقاة في الممر الخارجي، ثم توجه إلى سيارته، أدارها محرّكها ووضع ناقل الحركة في وضعية السير للخلف، التحكم بالسيارة كان صعباً إلى أن وضع جانباً مَنفَضَة السجائر.

الرائق

كنت أحلق شعري، جالساً على الكرسي، وثلاثة رجال على كراسي الانتظار المسندة على طول الجدار في الجهة المقابلة. لم يسبق لي رؤية رجلين منهما، أما الرجل الآخر فقد سبقَت لي رؤيته لكن لا أتذكر أين. داومت النظر إليه بينما المزيّن يقصّ شعري. كان يحرّك عود الأسنان في حلقه. إنّه رجل ممتلئ الجسم، ذو شعر متموّج قصير. أظنّ أنّي رأيته يرتدي قبّعة وزيّاً رسميّاً، أذكر عينيه الصغيرتين تراقبان في بهو البنك.

بالنسبة للرجلين الآخرين، فمن الواضح أن أحدهما أكبر عمراً من الآخر، أقصد الذي يدخن ذو الشعر الرمادي المجعد، الرجل الآخر لم يكن كبيراً في العمر، أصلع وعلى جانبي رأسه شعر يتدلّى إلى أذنه، كان ينتعل حذاء طويل الرقبة وبنطالاً تلمع عليه بُقَع زيوت تشحيم.

وضع المُزَيّن يده أعلى رأسي ثم حرّكه ليضبط زاوية رؤيته، ثم سأل الحارس "هل اصطدتم غزلاناً، يا تشارلز؟"

مغرم أنا بهذا المُزَيّن، لم نكن قد رفعنا الكُلفة بعضنا عن بعض بشكل كاف حتى نتنادى بأسمائنا، إلا أنه يتعرف عليَّ كلّما جئته لأقصّ شعري، كما يعلم أنّي كنت أصيد السمك، وقد تحدثنا عن الصيد

سابقاً، لا أعتقد أنه صياد، لكنّه يحمل مَلَكَةً للحديث في أيّ موضوع، ولذا فهو مزيِّن بارع.
قال الحارس "بيل، هذه حكاية مسليّة، أمور مضحكة حدثت..."
أخذ عود الأسنان ووضعه في مَنفَضَة السجائر، هزّ رأسه، ثم تابع "صدنا ولم نصطد، وبالتالي فإن إجابة سؤالك هي نعم ولا!"
لم يرُق لي صوته، نبرته غير ملائمة بالنسبة لحارس، لم أتوقع أن تكون هذه هي نبرة صوته.
الرجلان الآخران يترقبان، الأكبر في العمر يقلّب صفحات المجلّة ويدخّن، بينما الثّاني يقرأ الجريدة. وضعا ما في أيديهما لينصتا إلى لحارس، قال المُزيِّن "واصل يا تشارلز"

حرّك المُزَيِّن رأسي ثانيةً، ثم أكمل عمله بماكينة الحلاقة، تابع الحارس "كنت في منطقة فيكل ريدج برفقة والدي العجوز وابني الغرّ، قصدناها لصيد الغزلان. العجوز حدّد مكان تمركزه في جهة، وحدّدتُ مع ابني الغرّ مكانًا آخر. لقد كان ثملًا، أغضبني الملعون، يا للعيال! كان يتردّد على تُرمُس الماء الخاص بي، بالإضافة إلى ترمسه، ليشرب الماء طوال النهار حتى كاد يأتي على كل شيء. كنّا قد تموضعنا منذ طلوع الفجر إلى العصر عازمَين على صيد غزال، ثم اكتشفنا أن ثمّة صيادين في الأسفل قد دفعوا الغزلان فأتت نحونا، لذا تموضعنا خلف الخشب نسمع صوت طلقات الرصاص وننتظر نصيبنا"
سأل الرجل الذي كان يقرأ الجريدة "وهل كانت هناك بساتين في الأسفل؟"
كان ذلك الرجل كثير الحركة، دأب على المخالفة بين ساقيه، هزّ

حذائيه للحظة، ثم عاد عاكساً ساقيه، أجاب الحارس "هناك غزلان تجول قرب تلك البساتين... صحيح"
ثم تابع الحارس "ليلاً تدخُل الغزلان البساتين، بنات الحرام! تأكل التفاح الأخضر الغضّ، كنا نسمع صوت طلقات الرصاص متأهبين، وإذا بذَكَر ظَبْيٍ كبير، كان مُسنّاً، يقترب منّا مسافة مئة قدم عند الشّجيرات النّامية تحت الأشجار الكبيرة. رأيناه كلينا في الوقت نفسه، وبالطبع أطلق الغرّ الرصاص، كان يرمي بغزارة، لم يحسّ الظبي بالخطر مطلقاً، لم يحوّل وجهته بسبب الصبيّ، ولم يكن يعلم أصلاً من أين تأتيه الطلقات، ولم يعلم في أيّ اتجاه يقفز. رميتُ رصاصة واحدة، ففي خضم كلّ ذاك الهرج كنت فقط أحاول إخافته"
سأل المُزَيِّن "تخيفه؟"
أجاب الحارس "كما تعلم، أخيفه، كان الظبي مصاباً بطلقة في عنقه، لذا أنزل رأسه وراح يحركها، كان يرتجف بكامله، والغرّ ما زال يصوّب الطلقات. بالنسبة لي، تذكّرت حينها أيّامي الخوالي في الحرب الكوريّة. أطلقت رصاصة لكني أخطأته، راح الظَبي المُسنّ يسير ناحية الحقل، لكنه، يا الله، صار بلا قوّة، والغرّ يُفرغ الرصاص من بندقيّته الملعونة دون طائل، ثم أطلقتُ عليه رصاصة، لم أقصد هذه المرة إخافته"
قال الرجل ذو الجريدة "ثم ماذا؟ من تولّى ربطه بلفّ رُكَبه إلى جسده؟، ثم ماذا؟ عليكم الآن تتبّعه، فقد يختار مكانا مخفيًّا يموت فيه..."
سأل الرجل الثاني "وأنتم من لحق به؟"
لم يبدُ سؤالاً حقيقياً.
أجاب الحارس "أنا من تتبّعه، أنا مع الغرّ، لم يكن ابني ماهرًا بما يكفي لتتبّعه، إنّه يتعب في الطريق، فيُبطئ من تقدّمنا، يا له من

أحمق." راح الحارس يضحك متذكراً الموقف، ثم تابع كلامه "يشرب البيرة ويتطوّح طوال الليل، وفي آخر المطاف يقول إنه صيّاد غزلان! بالله، لكن بالتأكيد لحقنا الظبي، ملاحقة جيدة، الدم على الأرض وعلى الأغصان، الدماء في كل مكان، لم أرَ ظبياً يحمل كل تلك الدماء، لا أعلم كيف واصل ذاك المغفّل المسير"

قال الرجل ذو الجريدة "بعض الأحيان يواصلون المسير إلى ما لا نهاية، ويجدون أماكن صعبة يموتون فيها"

تابع الحارس "كنت أهزأ بابني الغرّ وأذكّره بالطلقات التي ضيّعها، وعندما تظاهر بالنّباهة صفعته صفعةً مُعتَبَرة، هنا بالضبط" أشارَ الحارس إلى جانب رأسه ثم ضحك، وواصل كلامه " صفعاتي توالت على أذنيه اللعينتين، ذاك الصبي الملعون، لم يكن كبيراً في العمر ولذا استحق الصّفع كي يتعلّم. فالمسألة هي أن الظلام قد حلّ ما جعل المُضيّ في التعقّب مستحيلًا، خصوصاً مع غرٍّ ينحني دومًا ليستفرغ ما في جوفه من قيء"

قال الرجل ذو الجريدة "ولسوف تأكل الذئاب الظّبي، وتأتي الغربان والجوارح على الجِيفة" ثم طوى الجريدة برفق، ووضعها، خالف بين ساقيه مجدداً، نظر إلينا وهز رأسه.

الرجل الأكبر عمراً استدار بكرسيه حيث كان ينظر خارجاً عبر النافذة، وأشعل سيجارته.

قال الحارس "ذاك ما ظننته أيضًا. للأسف. إنّه حقًّا ظبي كبير ومُسِنّ. لذا فإن الإجابة على سؤالك، بيل، هي أنّي اصطدتُ غزالًا ولم أصطده، غير أن هناك لحم غزال على مائدتنا في كل الأحوال، فأبي العجوز قد اصطاد غزالاً صغيراً بين الجبال، وعاد للمخيّم

بالفعل، وسلخ الجلد بسرعة، بينما الكبد والقلب والكليتان لفّهما في ورقة ووضعها في البَرّاد، مجرّد غزال صغير، مغفّل صغير، أسعد الصيّاد العجوز"

نظر الحارس في صالون الحلاقة وكأنه يتذكر شيئاً، ثم تناول عود أسنان ووضعه في حلقه، الرجل الأكبر سنًّا وضع السيجارة في فمه واستدار نحو الحارس، بثّ نَفَساً من فمه ثم قال "الأحرى بك أن تكون الآن هناك تبحث عن الظبي بدلاً من أن تأتي لتقصّ شعرك هنا"

ردَّ الحارس "لا يمكنك أن تخاطبني هكذا، أيها المُسنّ العَفِن، لقد رأيتك في مكان ما!"

ردَّ الرجل المسن "وأنا رأيتك أيضاً"

قال المُزَيِّن "يا أولاد، كفى، أنتما في محلي"

قال الرجل المسنّ "عليّ أن أصفع أذنيك"

ردَّ الحارس "يجب أن تجرّب"

صاح المُزَيِّن "تشارلز!"

وضع المُزَيِّن المشط والمقص على المِنْضَدَة وترك يده على كتفي، كنت أفكر في القفز من طرف الكرسي إلى وسطه، قال المزيِّن "إلبيرت، أنا أقص شعر تشارلز وأبناءه أيضاً منذ سنوات، أتمنى أن تتوقف عن هذا"

راح المُزَيِّن ينظر إلى الرجلين ويداه على كتفي.

قال الرجل ذو الجريدة "خذه إلى الخارج"

كان يأمل أن يتحول الحوار إلى شجار.

قال المُزَيِّن "هذا يكفي، تشارلز لا أريد سماع شيءٍ آخر عن الموضوع إيّاه"

نظر المزيّن إلى الرجل ذي الجريدة وقال "ليس لدي أدنى معلومة عنك، يا سيّد، لكن يا سيّد لا تحشر أنفك في كلام الآخرين لتزعجهم"

نهض الحارس وقال "أعتقد أنّي سآتي لاحقاً لقصّ شعري، يُستحسن أن أترك المكان لغيري"

خرج الحارس وجرّ الباب وراءه ليغلقه، الرجل المسن راح يدخّن سيجارته، ينظر عبر النافذة، ويرنو إلى شيء في ظاهر يده. قام بعدها واعتمر قبّعته وقال للمُزَيِّن "أنا آسف، بيل، سأعود بعد أيّام"

قال المزيّن "لا بأس يا إلبيرت"

حين غادر الرجل المسن، وقف المُزَيِّن عند النافذة ينظر إليه.

قال المُزَيِّن وهو ينظر "إلبيرت على وشك الموت بسبب مرض النفاخ الرئوي... اعتدنا على الذهاب لصيد السمك سوياً، هو من علمني كل شيء عن صيد السلمون، الفتيات المعجبات كن يلاحقنه، وكلما تقدم في العمر صار عصبياً، وبكل صراحة لقد فقد أعصابه اليوم"

الرجل ذو الجريدة لا يقرّ في مكانه، كان على قدمه يتحرك، يقف كي يرى كل شيء: شمعدان القبّعات، وصور بيل مع أصدقائه، والرّوزنامة السنويّة. يطوي كل صفحة في الرّوزنامة، ثمّ ذهب إلى أبعد من هذا حين وقف ينتقد ترخيص مزاولة المهنة الحاصل عليها بيل والمعلقة على الحائط. استدار بعدها ليقول "سأغادر أنا الآخر!"

وخرج فور أن نطق عبارته تلك.

قال المُزَيِّن "حسناً، هل تودّ أن أنهي حلاقة رأسك أم لا؟"

قالها المُزَيِّن وكأنّي أنا المتسبّب في كلّ ما حدث.

أدار المُزَيِّن كرسي الحلاقة لأكون في مواجهة المرايا، وضع يده على كل جانب من رأسي، ثم عدل جلستي على كرسي الحلاقة، أنزل يده قُربَ يدي.

نظر كلانا إلى المرآة، ما زالت يده تحتضن رأسي.

كنت أنظر إلى نفسي، وكذلك كان هو ينظر إلي، ثم رأى المُزَيِّن شيئاً، لكن لم يعلّق، حرك أصابعه في شعري، حركها ببطء كأنّ باله مشغول في شيء آخر، حرّك أصابعه في شعري بعناية.

كان ذلك في مدينة كريسينت في كاليفورنيا بالقرب من حدود مدينة أوريغون. غادرتُ فَوراً بعد الحلاقة. فكّرت اليوم في هذه البلدة، ومحاولاتي أن أبدأ حياة جديدة مع زوجتي. تذكّرت كرسي الحلاق هذا الصباح، تأهّبت للانطلاق بخيالي، استشعرتُ اليوم الإحساس الرَّائِق الذي انتابني عندما أغمضتُ عينيّ وتركتُ أصابع المُزَيِّن تتحرك في شعري، ما أعذب تلك الأصابع، وكأن شعري قد عاود النمو.

عالم الميكانيكا[7]

مبكّرًا في ذلك اليوم، تبدّل الطقس وذاب الثلج متحوّلًا إلى ماء قذر. خطوط من الماء ذاك تنساب من نافذة صغيرة يصل علوّها إلى مستوى الكتف، وتُطلّ على الفناء الخلفي. السيّارات تعبر الشوارع مُصدرةً صوت نثرها المياه من حولها. وبينما الظّلام راح يهبط في الخارج، ثمّة سِواهُ ظلامٌ آخر حلّ في الداخل.

هو في غرفة النوم، يحشر ملابسه في حقيبة الثياب حين جاءت إلى الباب.

"أنا مسرورة لرحيلك، أنا مسرورة لرحيلك..." قالت له. "ألا تسمع؟"

واصل وضع أغراضه في حقيبة الثياب

"يا ابن العاهرة، أنا مسرورة لرحيلك!" وشرعت تبكي. "أنت لا تجرؤ حتى على النظر إلى وجهي، أتقوى على ذلك؟"

انتبهت حينها إلى صورة الطفل على السرير. فتناولتها.

راح يحدّق بها. فمسحت عينيها وراحت تحدّق بها قبل أن تعود إلى صالة الجلوس.

"أعيدي الصورة إليّ،" قال.

(7) Popular Mechanics نسبة إلى مجلة أمريكية شهيرة تختص بالهندسة والتقنيات، حيث عمَد المؤلف إلى إبراز مزيّة السلوك الميكانيكي لشخصيّات تفتقد الإحساس. م.

"خُذ أغراضك فقط وانصرف،" قالت.

لم يجبها. أغلق حقيبته، ولبس معطفه. تفقّد غرفة النوم قبل أن يُطفئ أنوارها، ثم خرج نحو صالة الجلوس.

وقفت عند مدخل باب المطبخ الصّغير حاملةً الطفل.

"أريد الطفل،" قال.

"أأنت مخبول؟" قالت.

"كلا،" قال. "لكنّي أريد الطفل، وسأبعث أحدهم ليأتي ويأخذ أغراضه لاحقًا."

"لن تلمس الطفل،" قالت.

بدأ الطفل في البكاء، فأماطت البطانيّة عن رأسه.

قالت: "أوَّه، أوَّه،" ناظرةً للطفل.

تقدّم نحوها.

"من أجل الله،" قالت.

ثم خطت للوراء نحو المطبخ.

"أريد الطفل."

"اخرج من هنا!"

استدارت محاولةً الاحتفاظ بالطفل في زاويةٍ خلف الفرن.

توجّه نحوها، ووقف في مواجهة الفرن، وقبض بيديه على الطفل.

"دعه،" صاحت. "انصرف، انصرف."

وجهُ الطفل علّته الحُمْرَة وأخذ في الصياح. خلال عراكهما أطاحا أرضًا أصيص ورد معلّق خلف الفُرْن. حشرها إلى الجدار ثم حاول فكّ قبضتها، أمسك الطفل دافعاً بكل ثقله.

"أَفْلتيه!" قال لها.

"لا تفعل هذا،" قالت. "أنت تؤذي الطفل."

"أنا لا أؤذي الطفل."

نافذة المطبخ لا تبعث أيّ ضوء. وفي شبه العتمة ذاك، عمد بإحدى كفّيه إلى فكّ قبضة يدها، وبالأخرى شدَّ إلى الأعلى ذراع الطفل الصائح، شدَّهُ من الطرف الأقرب لكتفه.

شعرت أن أصابعها بدأت تنفرج كُرْهًا. شعرت أن طفلها يبتعد عنها.

"لا..." صاحت ما إن شعرت أن يديها لا تقبضان على شيء.

لكنّها ستأخذ هذا الشيء، هذا الطفل، فشدّت الطفل من ذراعه الآخر، سحبته من رسغه ومالت بثقلها إلى الوراء.

رغم ذلك، لم يكن هو ليفلته، بل شعر أن الطفل ينزلق من يده، فشدَّهُ للخلف بقوة.

وبهذه الآليّة، بُتَّ في الموضوع.

التصق كلّ شيء به

هي في مدينة ميلان لقضاء عطلة الكريسماس. وتودّ سؤاله عن طفولتها.

"أخبرني،" تقول له. "كيف كانت طفولتي؟" ترتشف من شراب الستريجا الإيطالي، تتريّث، تنظر إليه بتمعّن.

هي فتاة مُنطلقة، ممشوقة البنية وجذّابة، وقد نجّت بكلّ ما فيها، من رأسها حتى أخمص قدميها.

"كان ذلك منذ أمد بعيد، منذ عشرين سنة خلت،" قال.

"تستطيع أن تتذكّر" قالت. "احكِ لي."

"وما الذي تودّين سماعه؟" يقول لها. "ماذا بوسعي أن أُخبرك أيضًا؟ لعلّي أروي لك شيئًا حدث حين كنتِ طفلة، شيئًا يخصّك،" يقول لها. "لكن بإيجاز."

"اروي لي،" تقول. "لكن قبلها حضّر لنا شرابًا آخر حتى لا نضطر إلى التوقّف في منتصف الحكاية."

يعود من المطبخ مع الشّراب، يستوي جالسًا على كرسيّه، ويبدأ.

كانا هما نفسهما صغيرَين، لكنّهما مغرمين ببعضهما حدّ الجنون،

ذاك الولد ذو التسعة عشر عامًا، وتلك البنت ذات السبعة عشر عامًا حين تزوّجا. ولم يمضِ كثير من الوقت بعدها حتى أنجبا ابنة.

ولدت الطفلة في أواخر شهر نوفمبر أثناء فترة متواصلة من البرد، والتي صادف وتزامنت مع ذروة موسم صيد الإوَزّ. الصبيّ شغوف بالصيد، كما تعلمين، وهذا جزء من الحكاية.

الصبيّ والصبيّة، أو الزوج والزوجة، أو الأب والأم، عاشا في شقّة صغيرة أسفل مكتب طبيب أسنان، وفي كل ليلة ينظّفان العيادة في الطابق العلوي نظيرَ إيجار شقتهما. يُتوقّع منهما في الصيف أن يعتنيا بالعشب والزهور، وفي الشتاء أن يجرفا الثلج وينثُرا الملح الحجريّ على الممشى. هل ما زلتِ معي؟ هل تصلك الصورة واضحة؟

"أجل،" قالت.

"هذا جيّد،" قال. "في أحد الأيام اكتشف طبيب الأسنان أنهما يستخدمان أوراقه الرسميّة في مراسلاتهما الشخصيّة، لكنها حكاية أخرى."

نهض عن كرسيه ونظر عبر النافذة، فرأى قرميد السقف والثلج ينهمر بانتظام.

"أخبرني القصة،" قالت.

كان الصغيران يعشقان بعضهما، علاوة على ذلك لديهما طموحات عظيمة، كانا دائمَي الحديث عن الأمور التي سيقومان بها والأماكن التي سيزورانها.

والآن، ينام الصبيّ والصبيّة في غرفة النوم، بينما الطفلة تنام في صالة الجلوس. لنقل إن الطفلة في شهرها الثالث وصارت مؤخّرًا تنتظم في النوم ليلاً.

في يوم السّبت ذاك، مساءً، بعد أن فرغ الصبي من عمله في الطابق العلوي، جلس في مكتب طبيب الأسنان واتّصل بصديق قديم لوالده، كان رفيق والده في رحلات الصيد.

"كارل،" قال حين رفع الرجل السمّاعة. "صدّق أو لا تصدّق، صرتُ أبًا!"

"مُبارَك، وكيف حال الأم؟" قال كارل.

"هي بخير، كارل، الجميع بخير."

"هذا جيد،" قال كارل. "أنا مسرور بما سمعت، ولكن إذا كنت تتصل لتسأل عن الصّيد، فسأقول لك شيئًا، طيور الإوَزّ تطير حاليًا بكثافة وسرعة، لا أعتقد أنني قد رأيت سابقًا هذا العدد الكبير منها، اصطدتُ خمسًا منها اليوم، وسأعود في الصباح، لذا تعال معي لو رغبت."

"أودُّ ذلك،" قال الصّبي.

أقفل الصّبيّ خطّ الهاتف ونزل ليخبر الفتاة. رأته يوضّب أغراضه: معطف الصيد، ومحفظة الذخائر، والأحذية، والجوارب، وقبّعة القنص، والملابس الداخليّة، والبندقيّة.

"ومتى ستعود؟" قالت الصبيّة.

"ربما في الظهيرة،" قال الصبيّ. "وربما أعود متأخّرًا حوالي السّادسة مساءً، هل ذاك متأخّر جدًّا؟"

"هذا حسن،" قالت الصبيّة. "سنكون بخير، اذهب وأستمتع، عند عودتك سنغيّر ملابس الطفلة ونذهب لزيارة سالي".

"تبدو فكرة جيدة،" قال الصبيّ.

سالي هي أخت الصبيّة، فتاة تُلفت الأنظار. لا أعلم هل سبق لكِ رؤية صورةٍ لها أم لا، لقد أُعجب بها الصبيّ بعض الشّيء، بقدر ما

كان مُعجبًا بأختها بيتسي، الأخت الثانية للصبيّة. لقد اعتاد الصبيّ أن يقول للصبيّة: "لولا أننا متزوّجان لتزوّجت سالي." واعتادت الصبيّة أن تسأله: "وماذا عن بيتسي؟ أنا أكره أن أعترف بهذا، لكني أشعر حقاً أنها أجمل من سالي ومنّي. ماذا عن بيتسي؟"
"بيتسي أيضًا،" اعتاد الصبيّ أن يُجيب.

بعد العشاء شغّل سخّان الماء وساعدها على تحميم الطفلة. مُعجبٌ هو بالرضيعة التي كانت تحمل نصف ملامحه ونصف ملامح الصبية، وضع البودرة على جسدها الصغير، وبين أصابع يديها وقدميها.
أفرغ ماء الاستحمام في الحوض، وذهب إلى الطابق العلوي ليتفقّد الجو. السّماء مُلَبّدة بالغيوم والجوّ بارد، كان العشب، أو ما تبقّى منه، يشبه قماشاً قاسياً ذا لون رماديّ تحت ضوء الشارع.
تراكم الثلج في أكوام بجانب المشى. مرّت سيارة، وسمع صوت الحصى تحت إطاراتها. ترك نفسه تتخيل ما قد يكون عليه الغد، طيور الإوزّ ترفرف في الهواء فوق رأسه، وبندقية على كتفه تُصيب الهدف من علوّ.
أقفل باب العيادة وعاد إلى الطابق السفليّ.
في السّرير حاولا القراءة، لكنّهما غطّا في النوم. هي أوّلًا من ترك المجلّة تغرق في اللحاف.

كان بُكاء الطفلة ما أيقظه.
وجد الضّوء مُناراً فوقها، بينما الصبيّة إلى جانب السّرير الهزّاز تُهدهدها بين ذراعيها. ثمّ وضعت الطفلة في سريرها، أطفأت الضّوء،

وعادت إلى السرير.

ثم سمع بكاء الطفلة، هذه المرة بقيت الصبية حيث كانت. بكت الطفلة بشكل متقطّع ثمّ صمتت. سمعها الصبي، ثم غلبه النعاس. لكن صرخات الطفلة أيقظته مرة أخرى. كان مصباح صالة الجلوس مشتعلًا، فجلس وأشعل الضوء جواره.

"أنا لا أعرف ما خطبها،" قالت الصبيّة، بينما تحمل الطفلة وتسير بها جيئةً وذهابًا. "بدّلتُ غياراتها وأطعمتها، لكنها مستمرة في البكاء، وأنا متعبة جداً وأخشى أن تسقط الطفلة من يدي."

"عودي إلى الفراش،" قال الصبيّ. "سأحملها أنا قليلاً."

نهض الصبيّ وأخذ الطفلة، وذهبت الصبيّة للاستلقاء مرّة أخرى.

"هدهِدها بضعة دقائق فقط،" قالت الصبيّة من غرفة النوم. "لعلّها تعود للنوم."

جلس الصبيّ على الأريكة والطفلة في حجره، هزّها حتى أغمضت عينيها، وكانت عيناه أيضًا تُغمضان معها، لكنّه عاد واقفًا بحذر شديد، ووضع الطفلة في سريرها.

تشير الساعة إلى الرابعة إلا ربع، بقيت أمامه خمسة وأربعون دقيقة قبل موعد الصّيد. زحف نحو السرير ورمى نفسه عليه. لكنّ الطفلة، بعد بضعة دقائق، عادت للبكاء، وفي هذه المرة نهض الاثنان من السرير.

اقترف الصبيّ أمرًا فظيعًا، لقد شتم الطفلة.

"حُبًّا لله، ما مشكلتك؟" قالت الصبيّة للصبيّ. "لعلّها مريضة أو تعاني من أمر ما، ربما كان ينبغي علينا ألّا نحمّمها."

حمل الصبي الطفلة، فراحت تركل بأقدامها، وابتسمت.

"انظري،" قال الصبيّ. "أنا حقًّا لا أعتقد أن هناك أيّ سوء أصابها."
"كيف تعرف ذلك؟" قالت الصبية. "هيا، هاتها عندي، أُدركُ أنه يجب أن أعطيها شيئًا، لكنّي لا أعرف ما يفترض أن يكون."
ثمّ وضعت الطفلةَ في مهدها مرّة أخرى. راح الصبيّ والصبيّة ينظران إلى الطفلة التي شرعت في البكاء من جديد.
رفعتها الصبيّة. "طفلتي، يا طفلتي..." قالت وعيناها تغرورقان.
"على الأرجح أن العلّة في بطنها،" قال الصبيّ.
لم تُجب الصبيّة، بل واصلت هدهدة الطفلة دون إيلاء اهتمام بالصبي.

انتظر الصبيّ، ثم ذهب إلى المطبخ وسخّن الماء ليعدّ القهوة. أصلح من وضع بيجامته الصوفيّة فوق ملابسه الداخلية: القميص والسروال القصير، ثمّ عقد أزرارها، وهمّ بارتداء ثياب الصّيد.
"ماذا تفعل؟" قالت الصبية.
"ذاهب للصيد؟" قال الصبيّ.
"أنا لا أعتقد أن عليك الخروج،" قالت الصبيّة. "كما لا أودّ أن تتركني وحدي معها في وضع مثل هذا."
"كارل ينتظرني لأذهب معه،" قال الصبي. "لقد خططنا لذلك."
لا يهمّني ما خططت له مع كارل،" قالت الصبيّة. "ولا يعنيني كارل في شيء، كما أنني لا أعرف حتى من هو كارل."
"لقد قابلتِ كارل من قبل،" قال الصبيّ. "إنّك تعرفينه، ماذا تعنين بقولك إنك لا تعرفينه؟"
"نحن لا نناقش هذه المسألة كما تعلم،" قالت الصبيّة.

"وماهي المسألة إذًا؟" قال الصبيّ. "المسألة هي أننا خطّطنا للصيد."
قالت الصبيّة: "أنا زوجتك، وهذه طفلتك، إنها مريضة أو تعاني من أمرٍ ما، انظر إليها، لماذا تبكي؟"
"أعلم أنك زوجتي،" قال الصبيّ.
شرعت الصبية تبكي. وضعت الطفلة مرة أخرى في مهدها، فعادت للبكاء مرة أخرى. مسحت الصبية عينيها بكُمّ رداء نومها، ثم حملت الطفلة.

عقد الصبيّ أربطة حذائه، ولبس قميصه وسترته ومعطفه، بينما غلّاية الماء تصفر على الموقد في المطبخ.
"أنت من يملك الخيار" قالت الصبيّة. "إمّا كارل أو نحن. وأنا أعني ما أقول."
"ماذا تعنين؟" قال الصبيّ.
"سمعت ما قلته،" قالت الصبية "إذا كنت ترغب في تكوين أسرة،
فالخيار أمامك الآن."
حدّقا في بعضهما. ثم أخذ الصبي معدّات الصيد وخرج. أدار المحرّك. ولكي يقوم بشيء ما، لفّ حول نوافذ السيارة يكشط عنها الثلج. ثمّ أوقف المحرّك وجلس برهة. خرج من السيارة وعاد إلى الداخل.
كان مصباح صالة الجلوس منارًا، وكانت الصبية نائمة على السرير والطفلة نائمة بجانبها.
خلع الصبيّ حذاءه، ثم خلع كل شيء آخر. مُرتديًا بيجامته الداخليّة الطويلة وجواربه، جلس على الأريكة يقرأ جريدة يوم الأحد.
استمرّت الصبيّة والطفلة في النوم. وبعد مُضيّ بعض الوقت، ذهب

الصبيّ إلى المطبخ وبدأ يقلي بعض اللحم المقدّد.
جاءت الصبية في رداء النوم، وطوّقت بذراعيها الصبيّ.
"أهلًا،" قال الصبيّ.
"أنا آسفة،" قالت الصبيّة.
"لا بأس،" قال الصبيّ. "لم أقصد التخلّص من المسألة كما بدا. لقد أخطأت."
"فلتجلس أنت،" قالت الصبية. "كيف يبدو لك تناول كعكة الوفل مع اللحم المقدد؟"
"يبدو رائعًا!" قال الصبيّ.
رفعت اللحم المقدد عن المقلاة وسكبت خليط الوفل. جلس إلى الطاولة يشاهد تحرّكها في المطبخ.
وضعت أمامه طبق اللحم المقدد مع الوفل، فدهنها بالزّبدة وصبّ الشّراب المعسول. لكنّه حين شرع بتقطيعها، انقلبَ الصّحن واقعًا في حُضنه.
"لا أصدّق ما يحدث!" قال الصبيّ واثبًا عن الطاولة.
"لو أمكنك النّظر إلى نفسك!" قالت الصبيّة.
نظر الصبيّ إلى أسفل نحو نفسه، التصق كل شيء بملابسه الداخليّة.
"كنتُ أتضوّر جوعًا،" قال الصبيّ، وهو يهزّ رأسه.
"كنتَ تتضوّر جوعًا،" قالت الصبيّة وهي تضحك.
خلع بيجامته الداخلية الصوفيّة وألقاها عند باب الحمام، ثم فتح ذراعيه، فولجت الفتاة بينهما.
"لن نختصم بعد الآن،" قالت الصبيّة.
"لن نفعل" قال الصبيّ.

ينهض من كرسيّه ويملأ من جديد كأسيهما.

"هذا كل شيء،" قال الرجل. "هذه نهاية القصة، لكن أعترف أنها ليست قصّة ممتعة."

"بل أثارتني،" قالت الفتاة.

هزّ كتفيه وحمل مشروبه نحو النافذة. السّماء مظلمة الآن لكنها ما تزال تُثلِج.

"الأحوال تتبدل،" قال. "أنا لا أعرف كيف تتبدل، لكنها تتبدل دون أن تدركي ذلك، أو دون رغبة منك في تبديلها."

"أجل، هذا صحيح فقط إذا كان..." لكنّها لم تُكمل ما بدأته.

وإلى هنا غيّرت الموضوع. في انعكاس النافذة يراها تُمعن النظر في أظافرها. ثم يراها ترفع رأسها.

مُتّحدثةً بمرح، سألته عمّا إذا كان سيُعرّفها على أرجاء المدينة في النهاية.

قال لها: "ارتدي حذاءك هيّا، ولنذهب."

لكنه بقي عند النافذة، يتذكّر. لقد ضحكا كلاهما. لقد مالا إلى بعضَهما وضحكا، حتى اغرورقت أعينهما، بينما كل شيء آخر: البرد، والمكان الذي كان ينوي الذّهاب للصّيد فيه، بقيا في الخارج، إلى حين، على أيّة حال.

عمّ نتحدّث حين نتحدّث عن الحب

كان صديقي ميل مكْغينيس هو من يتحدّث. ميل مكْغينيس طبيبُ قلب، وذلك يُكسبه أحيانًا موقعًا خاصًّا يتحدث منه.
كنّا نجلس أربعتنا حول طاولة مطبخه، نحتسي شراب الجن. ضوء الشّمس ملأ المطبخ عبر النافذة الواسعة خلف حوض الغسيل. هناك ميل، وأنا، وزوجته الثانية تيريزا – أو تيري كما نناديها – وزوجتي لورا. كنا جميعًا نعيش حينئذ في مدينة ألباكركي، رغم أننا من أماكن أخرى.
ثمّة دلو ثلج على الطاولة. شراب الجن وماء التونِك لم يتوقّفا يدوران حول الطاولة، وبطريقة ما طرقنا موضوع الحب. اعتقد ميل أن الحبّ الحقيقي ليس سوى الحب الروحاني، قال إنّه قضى خمس سنوات من حياته في معهدٍ لتعليم اللاهوت قبل أن يغادره الى كليّة الطب. وقال إنه ما يزال ينظر الى الوراء نحو تلك السنوات في المعهد اللاهوتي باعتبارها أهمّ سنوات حياته.
أمّا تيري فقالت إنّ الرجل الذي عاشت معه قبل أن تعيش مع ميل

أحبّها كثيرًا إلى درجة أنّه حاول قتلها. ثم أضافت: "ضربني في إحدى الليالي، جرّني من الكاحلين عبر صالة الجلوس، وظل يصيح "أنا أحبك، أنا أحبك، أيّتها العاهرة" ثمّ استمرّ في سحبي حول صالة الجلوس من كاحلي، بينما رأسي ترتطم بكل ما يصادفها". ثم أدارت تيري نظرها حول الطاولة، وقالت: "كيف تتصرف مع حبّ كهذا؟" كانت امرأة نحيلة بارزة العظام ذات وجه جميل، عيونها داكنة، وشعرها البني يتدلى إلى ظهرها، تحب القلائد المصنوعة من الفيروز، والأقراط الطويلة.

"يا إلهي، لا تكوني ساذجة، ذاك ليس حبًّا، وأنت تعرفين هذا،" قال ميل. "لا أعرف ما نُطلق عليه، لكنّي متأكد أن ذاك لا يُسمّى حُبًّا."

"قل ما تريد، لكنني أعرف أنّه كان كذلك،" قالت تيري. "قد يبدو الأمر جنونيًّا بالنسبة لك، حسنٌ، لكنّها هي الحقيقة ذاتها، فالناس مختلفون يا ميل. بالطّبع قد تبدو الأمورفي منتهى الجنون بعض الأحيان. بصراحة. لكنّه أحبّني بطريقته الخاصة ربما، لكنه أحبّني. ثمّة حب هناك، ميل، لا تقُل إنّه لم يكن كذلك."

أطلق ميل زفرةً محبوسة، ثم أمسك كأسه واستدار نحونا أنا ولورا. "الرّجل هدّد بقتلي،" قال ميل. أنهى شرابه ومدّ ذراعه نحو زجاجة الجن. "تيري رومانسية،" قال ميل. "تيري من مدرسة "اضربني حتى أعرف أنك تحبني!" تيري، حبيبتي، لا تنظري إليّ هكذا..." ثم مدّ ميل يده عبر الطاولة ومسّ وجنة تيري بأصابعه، ثم ابتسم في وجهها.

"الآن يريد أن يعوّض عن ما قاله،" قالت تيري.

"أعوّض عن ماذا؟" قال ميل. "وماذا قلت لأعوّضك عنه؟ إني أعرف ما أعرف، وهذا كل شيء."

"كيف بدأنا هذا الموضوع على كل حال؟" قالت تيري. ثم رفعت كأسها وشربت منه. "الحُبّ دومًا يُشغل بال ميل،" قالت. "أليس كذلك، حبيبي؟" وابتسمت. ظننتُ أن الحديث انتهى عند هذه النقطة.
"أنا فقط لا أودّ تسمية سلوك إيد حُبًّا، هذا كل ما أقوله، يا حلوتي،" قال ميل. "ماذا عنكما يا رفاق؟" وجّه كيل حديثه إلى لورا وإليّ. "هل يبدو ذاك لكما حُبًّا؟"
"لستُ الشخص المناسب لسؤاله!" قلت له. "فأنا لم أعرف الرّجل قط. سمعت اسمه يُذكر بشكل عارض. كيف لي أن أعرفه. تتحتّم معرفة التفاصيل. لكن أعتقد أن ما تقصده هو أن الحبّ لابدّ وأن يكون مُكتمل المثاليّة."
قال ميل: "الحب الذي أتحدث عنه هو. الحب الذي أتحدث عنه، أنّك لا تحاول قتل الناس."
قالت لورا: "أنا لا أعرف أيّ شيء عن إيد، أو عن الوضع، ولكن من يستطيع أن يُطلق الأحكام على وضع شخصٍ آخر؟"
لمستُ ظهر يد لورا. أعطتني ابتسامة سريعة. ثم التقطت يدها، كانت دافئة، أظافرها مصقولة، مشذبة تمامًا، طوّقتُ معصمها بأصابعي وأمسكته.

"عندما تركته، شرب سمّ الفئران،" قالت تيري. ثمّ شبكت ذراعيها بكفّيها. "أخذوه إلى المشفى في مدينة سانتافي. كنّا نعيش هناك، على بُعد عشر أميال تقريبًا خارج المدينة. أنقذوا حياته، لكن لثّته فسدت بشكل جنونيّ بفعل السّم. أعني أنهم أزالوها عن أسنانه. بعدها، برزت أسنانه للعيان مثل الأنياب. يا إلهي!" قالت تيري. ثم انتظرت

دقيقة قبل أن تُطلق ذراعيها، ورفعت كأسها.

"عجبي كيف يتمادى البشر!" قالت لورا.

"صار خارج الخدمة الآن،" قال ميل. "لقد مات."

ناولني ميل صحن الليمون، أخذتُ شريحة، عصرتها على مشروبي، وخفقت مكعبات الثلج بأصبعي.

"ازداد الأمر سوءًا،" قالت تيري. "لقد أطلق النار على نفسه بمسدس مصوّب إلى فمه، لكنه فشل في ذلك أيضًا! إيد المسكين،" وهزّت رأسها.

"إيد المسكين ليس بمسكين،" قال ميل. "لقد كان خطيرًا."

ميل حينها كان في الخامسة والأربعين من عمره، طويل القامة ورشيقًا وذا شعر مجعّد ناعم. وبسبب لعبه التّنس، اكتسب سُمرة على وجهه وذراعيه. حين لا يسكر، تكون لفتاته تحرّكاته كلّها دقيقة وحذرة جدًّا.

"لكنه أحبّني رغم كل شيء، ميل، اعترف لي بذلك." قالت تيري.

"هذا كل ما أطلبه، لم يحبني بالطريقة التي تحبني أنت بها، أنا لا أقول ذلك، لكنه أحبني، يمكنك أن تعترف لي بذلك، أليس كذلك؟"

"ماذا تقصدين بقولك أنّه فشل في ذلك أيضًا؟" قُلت.

انحنت لورا إلى الأمام مع كأسها. أسندت مرفقيها إلى الطاولة وحملت كأسها بكلتا كفّيها. نقلت نظرها من ميل إلى تيري مُنتظرة، بينما الذهول يعلو وجهها، كأنّها تتعجّب كيف تحدث لك مثل تلك الأمور مع أناس كنت صديقًا ودودًا لهم.

"كيف فشل في ذلك أيضًا مع أنه قتل نفسه؟" قلتُ.

"سأخبرك بما حدث،" قال ميل. "لقد حصل على مسدس بيستول عيار 22، اشتراه ليهدّدنا. أوه، أنا جاد، كان الرجل يشكّل تهديدًا دائمًا. كان عليكما أن تريا كيف كنّا نعيش خلال تلك الأيام. مثل الهاربين.

وحتى أني ابتعت مسدسًا لنفسي. هل تصدّق ذلك؟ رجل مثلي يبتاع مسدسًا! لكني فعلت. اشتريت مسدسًا للدفاع عن النفس وحملته في صندوق التابلوه في السيارة. يتوجب عليّ أحيانًا، كما تعرف، أن أترك الشقة في منتصف الليل للذهاب إلى المشفى. لم نكن أنا وتيري متزوجين وقتها، وزوجتي الأولى كانت تقطن المنزل مع الأطفال والكلب، كل شيء، بينما أنا وتيري نعيش في هذه الشقة، هنا. أحياناً، كما أسلفت، تردني مكالمة في منتصف الليل ويتحتم علي الذهاب إلى المشفى السّاعة الثانية أو الثالثة فجرًا. مواقف لسيارات تكون حينها مُظلمة جدًّا، وكنت أتصبّب عرقًا قبل أن أستطيع الوصول إلى سيارتي. لم أكن أعرف إن كان سيخرج لي من بين الشجيرات أو من وراء السيارة ليبدأ إطلاق النار. أعني، كان الرجل مجنونًا، كان قادرًا على تفخيخ نفسه بقنبلة، أي شيء، كان يتصل بالمشفى ليستدعيني في كل الساعات مدّعيًا أنه يحتاج إلى التحدث مع الطبيب، وعندما كنت أرد على المكالمة، يقول لي "يا ابن العاهرة، أيامك باتت معدودة"، وأشياء حقيرة من ذاك القبيل. كان مُخيفًا، تمامًا كما أقول لك!"

"ما زلت أشعر بالأسف تجاهه،" قالت تيري.

"يبدو الأمر وكأنه كابوس،" قالت لورا. "لكن ماذا حدث بالضبط بعدما أطلق النار على نفسه؟"

لورا سكرتيرة قانونية. ولقد تقابلنا أوّل مرّة في أجواء مهنيّة. وقبل أن ننتبه إلى ما يحدث لنا، كنّا نتودّد إلى بعضنا. عمرها خمسة وثلاثون عامًا، تصغرني بثلاث سنوات، وتوّجَ الحُبّ ذاك كلّه. نحب بعضنا، ويستمتع واحدنا برفقة الآخر، هي رفيقة طيّبة المعشر.

"ماذا حدث؟" قالت لورا.

قال ميل: "أطلق النار على نفسه، في غرفته، بمسدس مصوّب إلى فمه، سمع أحدهم النار وأبلغ المدير، جاؤوا بالمفتاح، رأوا ما حدث، فطلبوا سيارة الإسعاف، وصادف أنْ كنتُ في المشفى حين أحضروه. كان على قيد الحياة لكنّه تخطّى مرحلة الأمل بالنجاة. عاش الرجل ثلاثة أيام، تضخّم رأسه إلى ضعفي حجم الرأس الطبيعي، لم أرَ قط حالة مثل حالته، وآمل ألّا تمرّ عليّ أبدًا مرة أخرى، أرادت تيري زيارته والجلوس معه عندما علمت بأمره، وجرى بيننا عراك حول هذا الأمر، فلم أعتقد أنه يفترض بها رؤية شيء من ذاك القبيل، ولم أعتقد أنه ينبغي عليها أن تراه، وما زلت على رأيي."

"ومن فاز في عراككما؟" قالت لورا.

"كنت في الغرفة معه عندما توفي،" قالت تيري. "لم تُكتب له النجاة، لكنّي جلست معه، فلم يكن لديه أي شخص آخر سواي."

"لقد كان خطيرًا،" قال ميل. "إن كنتِ تسمّين ذاك حبًّا، فلكِ ما أردتِ."

"كان ذلك حُبًّا"، قالت تيري. "بالتأكيد لم يكن طبيعيًّا في نظر معظم الناس، لكنه كان على استعداد للموت من أجله، ولقد مات فعلًا من أجله."

"اللعنة، أنا أكيدٌ أن ذلك لا يُسمّى حُبًّا،" قال ميل. "أعني، لا أحد يعرف ما الذي يريده من وراء فعلته، لقد رأيت كثيرًا من حالات الانتحار، وأستطيع القول انّه لم يعرف أحدٌ قط ما الذي يريدونه من وراء ذلك."

وضع ميل يديه خلف عنقه، وأمالَ كرسيّه إلى الوراء. "لستُ مهتمًّا

بذاك النوع من الحب. إن كان ذاك حُبًّا فخُذيه لك."

قالت تيري: "كنّا نخاف، لدرجة أن ميل كتب وصيته وأرسلها إلى شقيقه في كاليفورنيا الذي كان يعمل في القوات الأمريكيّة الخاصة، وأخبره من عليه أن يتعقّب لو حصل له شيء."

شربت تيري من كأسها، ثم تابعت: "لكن ميل على حق، عشنا مثل الهاربين. كنّا خائفين، كان ميل خائفًا، ألم تكن كذلك يا حبيبي؟ وحتى أنني اتّصلت بالشرطة في مرحلة ما، لكنهم لم يقدّموا أيّ مساعدة. قالوا إنهم لا يستطيعون فعل أي شيء إلى أن يقترف إيد جُرمًا، أليس هذا مُضحكاً؟"

سكبت لها ما تبقّى من الجن، ثم هزّت الزّجاجة. نهض ميل عن الطاولة وتوجّه إلى الخزانة. وضع لنا زجاجة أخرى.

"حسنٌ، أنا ونِك نعرف ما هو الحب،" قالت لورا.

"أعني، بالنسبة لنا..." قال لورا، ودقّت ركبتها بركبتي: "من المفترض أن تقول شيئاً الآن!" قالت لي واستدارت بابتسامتها نحوي.

كإجابة، أخذت يد لورا وقرّبتها من شفتيّ، ثم صنعتُ مشهدًا كبيرًا لتقبيل يدها. انبهر الجميع.

"نحن محظوظان،" قلتُ.

"يا رفاق،" قال تيري. "كُفّا عن ذلك الآن، أنتما تشعراني بالغثيان. فما تزالان في شهر العسل، من أجل الله. ما زلتما مخبولين بالحب، لا تستعجلا، انتظرا فقط. منذ متى وأنتما معًا؟ كم مضى عليكما؟ سنة؟ أطول من سنة؟"

"قريبًا من السّنة ونصف،" قالت لورا وقد احمرّت خجلًا.

"أوه، هكذا إذًا..." قالت تيري. "انتظرا قليلًا."
ثم حملت شرابها وحدّقت في لورا.
"إني أمازحكما وحسب!" قالت تيري.
فتح ميل زجاجة الجن ودار بها علينا حول الطاولة.
"ها أنتما، يا رفاق،" قال ميل. "دعونا نرفع نخبًا، أريد اقتراح نخبٍ ما، نخب الحب. للحُبّ الحقيقي!" قال ميل.
تلامست كؤوسنا.
"للحُبّ الحقيقي،" قلنا معًا.

في الفناء الخلفي في الخارج، أحد الكلاب راح ينبح. أوراق شجرة الأسبن المنحنية أمام النافذة تعاود طقطقتها على الزّجاج. شمس ما بعد الظّهيرة كأنها ماثلة في الغرفة، ذلك الضوء الرّحب من الاسترخاء والكرم. أمكننا تخيّل أننا في أيّ مكان، في مكان ما فاتن. رفعنا كؤوسنا مرّة أخرى وتبادلنا الابتسامات مثل أطفال اتّفقوا على الإتيان بأمر مُحرّم.
"سوف أخبركم ما هو الحب الحقيقي،" قال ميل. "أعني، سأعطيكم مثالاً جيداً، ثم يمكنكم الخلوص إلى استنتاجاتكم الخاصّة." ثم سكب مزيدًا من الجن في كأسه، وأضاف مكعّب ثلج وقطعة ليمون. انتظرنا ورشفنا من شرابنا. تلامسنا الرُّكَب أنا ولورا مرة أخرى. وضعت كفًّا على فخذها الدافئ وتركتها هناك.
"ما الذي يعرفه أيّ منّا حقًّا عن الحب؟" قال ميل. "يبدو أننا مجرّد مبتدئين في الحب، نقول نحن نحب بعضنا، ونحن كذلك، ولا شكّ عندي، أحب تيري وهي تحبني، يا رفاق أنتما تحبّان بعضكما مثلنا،

نحن لا نشكّ في ذلك. أنتما تعرفان نوع الحب الذي أتحدث عنه الآن، الحب البَدَنيّ، الدافع الذي يدفعك نحو شخص مميز، وكذلك حبّ الشخص لذاته، لجوهره أو جوهرها، وبالطبع الحب الشهوانيّ، حب الجسد. وأيضًا، حسنًا، لنسمّه الحب العاطفي، الرعاية اليومية لشخص تحبه. أحيانًا أعيش لحظاتٍ يصعب عليّ الاعتراف خلالها أنّي لابدّ وأحببت زوجتي الأولى أيضًا. لكني أحببتها، أعلم أني فعلت. لذا أفترض أني مثل تيري في هذا الخصوص. تيري وإيد." فكّر فيما قاله، ثم واصل حديثه. "مضى وقت ظننت فيه أنّي أحبّ زوجتي الأولى أكثر من الحياة نفسها، لكني الآن أكره كل ما يتعلّق بها. أنا فعلًا كذلك. كيف يمكنني تفسير هذا؟ ماذا حدث لذاك الحب؟ ما حدث له هو ما أود معرفته، أتمنى أن يخبرني أحد. وعلى الجانب الآخر هناك إيد. حسنٌ، لنعُد إلى إيد، لقد أحبّ تيري كثيراً حتى أنّه حاول قتلها، ثم انتهى به الأمر إلى قتل نفسه." توقف ميل عن الكلام، وتناول جرعةً من كأس شرابه، ثم أكمل. "أنتما يا رفاق معاً منذ ثمانية عشر شهراً، تحبّان بعضكما، وهذا واضح للعيان، حبكما المتوهج، لكن كلاكما قد أحب شخصاً آخر قبل أن تلتقيا، قد تزوجتما من قبل، تماماً مثلنا، وربما أحببتما الآخرين قبل ذلك أيضًا. حتى أنا وتيري، علاقتنا عمرها خمس سنوات، تزوّجتها منذ أربع سنوات، وهذا هو الشيء الرهيب، وهذا هو الشيء الرهيب، لكن هو الشيء الجيّد أيضًا، إنّه الأمر الذي أنقذنا، لنقل ذلك: إذا حدث شيء لواحد منا، عفواً لقول هذا، لكن إذا حدث شيء لواحد منا غداً، أعتقد أن الآخر، الشخص الآخر، سيحزن فترة، كما تعلمون، لكنّه هو الباقي على قيد الحياة وسوف يخرج ويُحبّ مرّة أخرى، سيجد شخصًا آخر في أقرب وقت،

بينما كل ذاك، كل ذاك الحب الذي نتحدث عنه، سيغدو مجرّد ذكرى، ربما ليس حتى ذكرى، هل أنا مخطئ؟ هل تجاوزت الحدود؟ لأني أريد منكما أن ترشداني إن كنتما تعتقدان أنّي مخطئ، أريد أن أعرف، أعني، أنا لا أعرف أي شيء، وأنا أوّل من يعترف بذلك."

"ميل، من أجل الله!" قالت تيري. ثم مدّت يدها وتناولت معصمه.

"هل ثملت، حبيبي؟ هل أنت سكران؟"

"حبيبتي، أنا أتحدث وحسب،" قال ميل. "حسنٌ، ليس عليّ أن أثمل كي أستطيع قول ما أفكّر فيه، أعني، نحن جميعا نتحدث فقط، أليس كذلك؟" ثمّ ثبَّتَ عينيه في عينيها.

"يا جميلي، أنا لا أنتقدك،" قالت تيري.

تناولَت كأسها.

"لستُ اليوم مناوبًا تحت الطلب،" قال ميل. "دعيني أذكّرك بذلك. أنا لست مناوبًا اليوم."

"يا ميل، نحن جميعًا نحبّك،" قالت لورا.

نظر ميل إلى لورا، نظر إليها كما لو أنه لا يُمكنه تمييزها، كما لو أنها لم تعُد المرأة التي كانتها قبل قليل.

"أحبك أيضاً، لورا،" قال ميل. "وأنت يا نِك، أحبك أيضًا، أتعرف شيئًا؟ أنتم يا رفاق، أنتم أصحابنا."

ثم تناول كأسه.

قال ميل: "كنت سأحدثكم عن أمرٍ ما، أعني، كنت ذاهباً لإثبات نقطة، كما ترون، حدث هذا قبل بضعة أشهر مضت، لكنه ما يزال يتكرر، ويجب أن يجعلنا نشعر بالخجل حين نتحدث، وكأننا ندرك

عمّ نتحدث حين نتحدث عن الحب."

"هيّا الآن،" قالت تيري. "لا تتحدث وكأنك ثمل إن لم تكن ثملًا."

"فقط اصمتي مرّة واحدة خلال حياتك كلّها،" قال ميل بهدوء كبير. "هلّا فعلتِ ذلك وأسديتِ لي معروفًا؟ اصمتي دقيقة! حسنٌ، نستأنف ما كنت أحدّثكم حول الزوجين العجوزين وسيارتهم الخردة التي تسير على الطريق السريع، والفتى الذي صدمهم فاستلقوا كأنّهم كومة نفايات، ولم يتطوع أحد لمساعدتهم.

نظرت تيري نحونا، ثم عادت تنظر إلى ميل. بدا عليها القلق، ولربما هذه النظرة كانت أبلغ من كل كلمة، حينئذ كان ميل يناولنا الزجاجة من حول الطاولة.

قال ميل: "كنت مناوباً تحت الطلب تلك الليلة، كان شهر مايو أو ربما كان يونيو، للتو كنت مع تيري جالسين لتناول العشاء حين وردني اتصال من المشفى، هناك حادث على الطريق السريع، فتى في حالة سكر، مراهق، اجتثّ بشاحنة أبيه الصغيرة سيارة الكرَفان التي يستقلها الزوجين العجوزين، كانا في منتصف السبعينيات، والفتى كان في الثامنة عشرة من عمره أو التاسعة عشرة. مات الفتى خلال حمله من موقع الحادث، لقد دخلت عجلة القيادة إلى قفصه الصدري، أمّا الزّوجين العجوزين فقد بقيا على قيد الحياة، فهمت، أعني، بالكاد، رغم أنّهما أصيبا بكلّ شيء، كسور مضاعفة، وإصابات داخلية، ونزيف، وكدمات، وتمزّق، وارتجاج، كانا في حالة سيئة، صدّقوني. وبالطبع، حالَت أعمارهما دون تعافيهما. أودّ أن أقول إنّ الزوجة كانت أسوأ حالا مما كان عليه الزوج، فقد تمزّق طحالها أيضًا وركبتاها مكسورتان. لعلّ ارتداء أحزمة الأمان، والله أعلم، هو

ما أنقذهما حينها."

"يا رفاق، هذا إعلان دعائي لمجلس الأمن القومي،" قالت تيري. "وهذا هو المتحدث الرسمي للمجلس، الدكتور ميليفين آر. مكْفينيس، يتحدث." ضحكت تيري، ثم قالت: "ميل، في بعض الأحيان تتجاوز الحدود، لا علينا، لكنّي أنا أحبك، يا عزيزي."

"يا حلوتي، وأنا أحبك" قال ميل.

ثم انحنى عبر الطاولة نحوها. كذلك فعلت تيري فالتقيا في منتصف المسافة بينهما. قَبّلا بعضهما.

"إنّ تيري مُحقّة،" قال ميل وهو يُصلح من جلسته. "عليكم بربط أحزمة الأمان تلك، صدقًا، كانا في تلك الحالة، أولئك المسنَّين، حينما وصلت، كان الفتى ميتاً، كما قلت، كان الزوج في زاوية، مسجّى على السرير المتحرك. نظرتُ نحو الزوجين وطلبت من ممرضة الطوارئ دعوة طبيب الأعصاب وطبيب العظام والجراحين للحضور على الفور."

شرب من كأسه. "سأحاول اختصار الحكاية،" قال. "وهكذا حملنا الزّوجَين إلى الدور العلوي حيث غرفة العمليات، وأخذنا نعمل بجدّ معظم الليل. كانت لديهم رغبة لا تصدّق في البقاء، ذينك الاثنين، رأيناه جلياً في كل لحظة، لذلك فعلنا كل ما يمكن القيام به، وقبيل الصباح كانت فرصتهم للبقاء تصل إلى الخمسين بالمائة، وربما أقل من ذلك بالنسبة للزوجة، حتى تلك اللحظة مازالوا أحياء، على قيد الحياة حتى صباح اليوم التالي، لذلك، حسنا، ونحن ننقلها إلى وحدة العناية المركزة، حيث فرّقنا بينهما أسبوعين، وأخذت حالتهما تتحسّن إلى الأفضل على جميع المستويات، لذا نقلناهم إلى غرفه خاصّة.

توقف ميل عن الحديث. "هيّا،" ثم قال. "دعونا نشرب هذا الجن الرّخيص إلى آخره. ثم سنذهب لنتناول العشاء، أليس كذلك؟ نعرف أنا وتيري مكانًا جديدًا، وسنذهب إليه، إلى ذاك المكان الجديد الذي نعرف. لكننا لن نذهب حتى ننتهي من هذا الجن الذي يُباع بثمن مخفّض في التنزيلات."

قالت تيري: "لم نأكل هناك حتى الآن في الحقيقة. لكنه يبدو جيدًا. من الخارج، كما تعلمون."

"أحبّ الطعام،" قال ميل. "إذا استطعت أن أعيد حياتي مرة أخرى، فسأكون طاهيًا، هل تعلم؟ أهذا صحيح يا تيري؟"

ضحك ثم نقرَ بأصبعه الثلجَ في كأسه.

"تيري تعرف،" قال ميل. "تيري يمكن أن تخبركم، لكن اتركاني أقول هذا، لو قُدّر لي العودة مرة أخرى في حياة مختلفة، في وقت مختلف، وكل شيء مختلف، تعرف ماذا؟ أود أن أعود لأكون فارسًا، أنت محصّن جدًّا تحت الدّروع، لقد كان الفارس محصّنًا حتى اختُرع البارود والبنادق والمسدسات."

"يرغب ميل في ركوب الخيل وحمل ورُمح،" قالت تيري.

"وتحمل وشاحًا نسائيًا معك حيث تمضي في كل مكان،" قالت لورا.

"أو حمل فتاةً وحسب،" قال ميل.

"عارٌ عليك،" قالت لورا.

"لنفترض أنك عدت في حياةٍ أخرى في هيئة عبدٍ مُزارع، لم يعش العبيد حياة طيبة في تلك الأيام."

"لم يعش العبيد حياة طيّبة قط،" قال ميل. "لكني أعتقد أن كلّ فارس كان أيضًا وعاءً (vessel) لشخص ما، أليس ذاك وضعهم؟

وكذلك جميعنا أوعية لشخص ما، أليس هذا صحيحًا، تيري؟ ولكن ما أحببته في الفرسان، إلى جانب حظوتهم عند الفتيات، هي تلك الدروع، كما تعلمون، ففيها لا يمكن أن يُصاب بسهولة، لا سيّارات في تلك الأيام، كما تعلمون، ولا مراهقين في حالة سكر ليمزقوا مؤخراتكم."

"تابعين (vassals)،" قالت تيري
"ماذا؟" قال ميل.
"تابعين، كانوا يسَمّون بالتابعين (vassals) لا الأوعية (vessels)."
"(vassals) أو (vessels)، اللعنة، ما الفرق؟ أنتِ عرفتِ ما قصدتُه على كل حال، حسنٌ؟" قال ميل. "أنا لست متعلّمًا، تعلّمت ما أحتاجه فقط، أنا جرّاح قلب، بالتأكيد، لكنّي مجرّد ميكانيكيّ، أعبث هنا وهناك حتى أصلح الأشياء، قرف."
"التواضع لا يليق بك،" قالت تيري.
"إنه مجرد جرّاح متواضع،" قلتُ. "لكنّهم لابدّ أحيانًا يختنقون تحت تلك الدروع، ميل، كانوا يصابون بنوبات قلبية إذا سخنت الدروع وكانوا متعبين ومنهكين، قرأت في مكان ما أنهم يسقطون عن خيولهم ثم لا يستطيعون اعتلاءها لأنهم متعبون جدًّا وعاجزون عن الوقوف مع كل تلك الدروع، فتدوسهم خيولهم في بعض الأحيان".
"أمر فظيع،" قال ميل. "ذاك فظيع يا نِكِي. أعتقد أنهم يبقون في أماكنهم منتظرين وصول شخص ليصنع منهم أسياخ كباب!"
"ينتظرون تابعًا مثلهم، لكن أتباع العدوّ" قالت تيري.
"هذا صحيح،" قال ميل. "أولئك الأتباع سيأتون ويطعنون ذاك

النّذل باسم حُبٍّ من يتبعونه، أو أيّ تفاهة كانوا يتقاتلون من أجلها في تلك الأيام."

"هي الأمور نفسها التي نتقاتل لأجلها هذه الأيام،" قالت تيري.

"لم يتغير شيء،" قالت لورا.

كان تورّد خدَّي لورا واضحًا، وعيناها مُشرقتين. قرّبت كأسها من شفتيها.

سكب ميل لنفسه كأسًا أُخرى، ثم راح يحدّق في المُلصق على الزجاجة كأنّه يقرأ صفًّا طويلًا من الأرقام، ثم وضع ببطء الزجاجة على الطاولة، وببطء تناول ماء التونِك.

"ماذا عن الزوجين المسنّين؟" قالت لورا. "أنت لم تواصل الحكاية التي بدأتها!"

وقتئذ، كانت لورا تواجه صعوبة في إشعال سيجارتها، فأعواد الثقاب تنطفئ كل مرة.

تغيّرت أشعّة الشّمس داخل الغرفة الآن، تغيّرت، صارت أقل إشعاعًا رغم أنّ أوراق الشجرة خارج النافذة ما تزال متلألئة. حدّقتُ في الانعكاسات الظّليّة التي رسمتها الأوراق على الزّجاج وواجهة منضدة المطبخ. ولم تكن الرسومات متشابهة، بالطّبع.

"ماذا عن الزوجين المُسنّين؟" سألته.

"مُسنّين، لكنّهما أكثر حكمة،" قالت تيري.

حدّق ميل في وجهها.

قالت تيري: "أكمل حكايتك، عزيزي، كنت أمزح فقط، ثم ماذا حدث؟"

"تيري أحيانًا،" قال ميل.

"من فضلك ميل،" قالت تيري. "لا تكُن جادًا على الدوام هكذا، حبيبي، ألا يمكنك التفاعل مع نُكتة؟"

"أين النُكتة؟" قال ميل.

ثمّ حمل كأسه وراح يحدّق بزوجته في ثبات.

"ثم ماذا حدث؟" قالت لورا.

عقد ميل نظراته حول لورا. ثمّ قال: "لورا، لو لم تكن عندي تيري، لو لم أكن أحبّها كثيرًا، ولو لم يكن نِك أفضل صديق لي، لوقعت في حبّك، لحملتُك وابتعدتُ بك، يا عزيزتي."

"أكمل قصتك،" قالت تيري. "ثم سنذهب إلى ذلك المكان الجديد، حسنٌ؟"

"حسن،" قال ميل. "أين وصلتُ فيها؟" ثم حدق بالطاولة، وبدأ مرة أخرى.

كنت أزورهما مرة كل يوم[8]، وأحيانًا مرتين في اليوم، حتى حين كنت منشغلاً بمهمات أخرى، في كل الأحوال، الغرز والضمادات كانت من رأسَيهما إلى أقدامهما. وكلاهما، كما تعلمون، قد رأيت ذلك في الأفلام، لهما بعض الثقوب في الضمادات عند العين والأنف والفم، وكان على الزوجة العجوز أن تجلس وساقيها للأعلى، حسناً. وكان الزوج مكتئبا جداً طوال الوقت، ليس بسبب الحادث، رغم أنّه، أعني، كان الحادث أحد الأسباب، لكنه لم يكن كل شيء. اقتربتُ لأسمع ما يقول من الثّقب في الجبس عند فمه، كما تعلمون، أخبرني أنّ الحادث ليس سبب كآبته، لكن السبب هو عجزه عن رؤيتها من خلال

(8) بعض العبارات الواردة في الحوارات غير مُنضبطة لغويًّا بسبب حالة الثمالة التي وصلت إليها الشخصيّات. م.

ثقوب الجبس. قال إن ذاك ما يجعله يشعر بالسوء. هل يمكنك أن تتخيل؟ قلب الرجل مكسور لأنه لم يتمكن من إدارة رأسه اللعينة ورؤية زوجته الملعونة.

أجال ميل نظره حول الطاولة وهز رأسه لما كان سيقوله.

"أعني، سيموت هذا العجوز المُمِلُّ فقط لأنه لا يستطيع النظر إلى امرأته السّقيمة!"

نظرنا جميعا نحو ميل.

"هل تعون ما أقول؟" قال ميل.

ربما كُنّا سكارى بعض الشّيء حينها. وأعلم أنه صَعُب أن نُبقي على تركيزنا. الضوء يجفّ في الغرفة، يغور في النافذة التي جاء منها، ومع ذلك لم يتحرّك أحد خطوة عن الطاولة ليُضيء المصباح.

"اسمعوا،" قال ميل. "دعونا ننهي هذا الجن الملعون، هناك ما يكفي لكأس واحدة لكلّ منّا. ثم دعونا نذهب لنأكل. لنذهب إلى المكان الجديد."

"إنّه مكتئب،" قالت تيري. "ميل، لماذا لا تتناول قرص الدواء؟"

هز "ميل" رأسه وقال: "لقد أخذت كل شيء متاح."

"جميعنا بحاجة إلى قُرص دواءٍ من حينٍ لآخر،" قلتُ

"بعض الناس يولدون وهم بحاجة إلى الأدوية،" قالت تيري.

كانت تفرك بأصبعها شيئًا على الطاولة. ثم توقفت عن الفرك.

"أعتقد أنني أريد أن أهاتف أطفالي،" قال ميل. "هل هذا الحقّ مُتاح للجميع؟ سأتصل بأطفالي."

قالت تيري: "ماذا لو أجابت مارجوري على الهاتف؟ يا رفاق، هل

سمعتم عن موضوع مارجوري؟ عزيزي، أنت تعرف أنك لا تودّ التحدث مع مارجوري، لعلّ المكالمة تزيد كآبتك."

"أنا لا أريد أن أتحدث إلى مارجوري،" قال ميل. "أريد التحدث مع أطفالي."

"لا يمرّ يومٌ إلا ويقول ميل فيه إنه يودّ لو أنها تتزوّج مرّة أخرى، أو حتى تموت،" قالت تيري. "لأمر واحد، إنها تقودنا إلى الإفلاس، يقول ميل إنه غاضب لأنها لا تودّ أن تتزوج مرّة أخرى، لديها صديق يعيش معها ومع الأطفال، لذلك فإنّ ميل يُنفق على صديقها أيضًا."

"إنها تعاني من حساسية شديدة للسعات النحل،" قال ميل. "إذا لم أدعُ الله أن تتزوج مرّة أخرى، فإنني أدعوه أن تُلسع من سرب ملعون من النّحل حتى تموت."

"عار عليك،" قالت لورا.

"بززززززز،" قال ميل، عاقدًا أصابعه على هيئة النحل، ودفعها قُرب حنجرة تيري. ثم ترك يديه تسقطان على جانبيه.

"إنها شرسة،" قال ميل. "أحيانًا أعتقد أنني سوف أذهب هناك مرتدياً لباس النحّالين. كما تعلمون، قُبّعة مثل خوذة مع شبكة تغطي وجهك، وقفازات كبيرة، ومعطف مبطّن. سأدق على الباب وأفتح خليّة النّحل في المنزل، لكن أوّلًا سأتأكّد من أن الأطفال في الخارج، بالطبع."

وضع ساقه على الأخرى ببطء، ثم وضع قدميه على الأرض وانحنى إلى الأمام، مرفقيه على الطاولة، وأمسك ذقنه بكفّيه.

"ربما لن أهاتف الأطفال، بعد كل شيء، ربما ليست فكرة موفقة، ربما سنذهب لتناول الطعام فورًا، ما رأيكم؟"

"تبدو لي فكرة جيّدة،" قلتُ. "نأكل أو لا نأكل. أو نواصل الشّرب حتى طلوع الفجر. أستطيع نواصل الشّرب. أو أخرج لأتوجّه مباشرةً نحو الغروب الشمسيّ!"

"ماذا يعني ذلك؟" قالت لورا.

"يعني فقط ما قلته،" قلتُ. "يعني أنني يمكن أن أواصل وحسب. هذا كل ما يعنيه."

"يمكنني تناول أي شيء،" قالت لورا. "لا أظنّ أني جُعتُ بشدّة في حياتي كما الآن، هل هناك مكسرات نأكلها؟"

"سوف أحضر بعض الجبن والمكسرات،" قالت تيري.

لكن تيري بقيت مكانها، ولم تُحضر شيئًا.

قلب ميل كأسه وانسكب ما فيه على الطاولة.

"ذهب شراب الجن،" قال ميل.

"والآن ماذا؟" قال تيري.

استطعتُ سماع قلبي يخفق. استطعتُ سماع قلوب الجميع. استطعتُ سماع الضجيج الإنسانيّ الذي كُنّا نُحدثه هناك، دون أن يتحرك أحد منّا، ولا حتى عندما أظلمت الغرفة.

أمرٌ أخير

ماكسين، زوجة إل.دي، طردته مساءً حين عادت إلى البيت من العمل لتجد إل.دي سكرانًا مرّة أخرى، وقد أساء معاملة راي، البالغة من العمر خمسة عشر عاماً. إل.دي مع راي عند طاولة المطبخ، يتجادلان. لم يكن لدى ماكسين متّسع من الوقت لتضع محفظتها أو تخلع معطفها.

قالت راي: "قولي له أمي، قولي له بما تحادثنا عنه."

أدار إل.دي الكأس في كفّه، لكنه لم يشرب منه. فقد وضعته ماكسين تحت نظرتها الغاضبة المنزعجة.

"لا تحشري أنفك في الأمور التي لا تعرفين شيئًا عنها،" قال إل.دي "لا أستطيع أن آخذ على محمل الجدّ شخصًا يواظب كلّ يوم على قراءة مجلات التنجيم".

"لا علاقة للأمر بالتنجيم،" قالت راي. "لستَ مجبرًا على إهانتي."

أمضت راي الأسابيع الماضية متغيّبة عن المدرسة. قالت أنّه لا أحد يستطيع أن يُجبرها على الذهاب. وصفت ماكسين غيابها بأنه دراما أخرى ضمن سلسلة طويلة من الأحداث الدراميّة المبتذلة.

"لم لا يغلق كلاكما فمه؟" قالت ماكسين. "يا إلهي، أنا فعلاً أعاني من

الصّداع."

"أخبريه أمي،" قالت راي. "أخبريه أنّ كلّ شيء في رأسه. إنّ أي شخص يعرف اليسير عن ذلك سوف يُخبرك أين هي!"

"ماذا عن مرض السكريّ؟" قال إل.دي. "وماذا عن الصّرَع؟ هل يمكن للدماغ السيطرة عليهما؟"

ثم رفع كأسه بينما عيني ماكسين تنصبّان عليه، وأنهى شرابه.

"مرض السكريّ أيضًا،" قالت راي. "والصّرع. أيّ شيء! الدماغ هو أقوى جهاز في الجسم، لمعلوماتك!"

رفعت سجائره وأشعلت لنفسها واحدة.

"السّرطان، ماذا عن السرطان؟" قال إل.دي.

اعتقدَ أنّه وضعها في الرّكن بسؤاله ذاك. ثم نظر إلى ماكسين.

"أنا لا أعرف كيف بدأنا هذا كلّه!" قال إل.دي لماكسين.

"السّرطان،" قالت راي، وراحت تهزّ رأسها لبساطة السّؤال. "السّرطان أيضًا. السّرطان يبدأ في الدماغ."

"هذا جنون!" قال إل.دي. ثمّ ضرب الطاولة براحة يده، فقفزت منفضة السجائر. وسقط كأسه جانبًا وراح يدور فوق الطاولة. "أنتِ مجنونة يا راي! هل تعرفين ذلك؟"

"اخرسا!" قالت ماكسين.

فكّت أزرار معطفها، ووضعت حقيبتها على الطاولة. ثمّ نظرت إلى إل.دي وقالت: "نِلتُ كفايتي منك، وكذلك راي، وكذلك كلّ شخصٍ عرفَك. لقد فكّرت في الأمر مليًّا. أريدك أن ترحل من هنا. هذه الليلة. هذه الدقيقة. الآن. اللعنة! أخرج من هنا الآن!"

لم ينوِ إل.دي الذهاب إلى أيّ مكان. حوّل نظره من ماكسين إلى جرّة

من المخلّلات ظلّت على الطاولة منذ الغداء. التقطها ورماها على نافذة المطبخ.

قفزت راي بعيداً عن كرسيها، قالت: "يا إلهي! هذا مجنون!"

ثمّ ذهبت لتقف بجانب والدتها، بينما تأخذ أنفاسًا قليلة متسارعة من فمها.

"اتّصلي بالشرطة،" قالت ماكسين. "إنّه عنيف. اخرجي من المطبخ قبل أن يؤذيك. اتّصلي بالشرطة."

ثم شرعتا تخرجان من المطبخ سَيرًا إلى الوراء ببطء.

"أنا ذاهب،" قال إل.دي. "أنا ذاهب الآن، هذا يناسبني جداً، أنتم الحمقى، في كل حال، هذا بيت الحمقى، هناك حياة أخرى في الخارج، صدقوني، لن أشعر بالألم، هذا بيت الحمقى."

شعر بالهواء على وجهه قادماً من الفوهة التي أحدثها في النافذة.

"إلى هناك سأذهب،" قال "هناك في الخارج،" وأشار بأصبعه.

"جيّد،" قالت ماكسين.

"حسنٌ، أنا ذاهب،" قال إل.دي.

خبط يده على الطاولة، وركل كرسيه إلى الوراء ناهضًا. وقف.

"لن تروني مرّة أخرى،" قال إل.دي.

"لقد منحتنا الكثير لتذكّرك،" قالت ماكسين.

"حسنٌ، ارحَل، أنا أدفع الإيجار هنا، وأنا أقول لك أن ترحل. الآن!" أردفت ماكسين.

"أنا ذاهب، لا تُلحّي، أنا ذاهب،" قال إل.دي.

"ليس عليك سوى المغادرة." قالت ماكسين.

"سأغادر بيت الحمقى هذا،" قال إل.دي.

سار نحو غرفة النوم وأخذ من الخزانة إحدى حقائب ماكسين. كانت حقيبة من نوع نوغاهيد، بيضاء قديمة ذات مشبك مكسور، وُضعت فيها أطقمٌ لسُترات كانت تأخذها إلى الكليّة، وهو أيضًا ذهب إلى الكليّة. ألقى الحقيبة على السّرير وبدأ في وضع ملابسه الداخلية، وبنطلوناته، وقمصانه، وستراته، وسُترته الجلديّة القديمة، وحزام ذي مشبك نحاس، وجواربه، وكل شيء آخر كان لديه. ومن المنضدة تناول المجلات الموضوعة في درج الكُتب، ووضع منفضة سجائر. وضع كل ما يستطيع في الحقيبة، كل شيء يمكن أن تحمله، ثم ربطها جيّدًا، وأحكم الحزام. ثم تذكّر أغراضه في الحمام. عثر على حقيبة الحلاقة البلاستيكيّة الشفّافة على رفّ خزانةٍ خلف قبّعاتها، ووضع فيها ماكينة الحلاقة وكريم الحلاقة، والبودرة المعطرة ومزيل العرق وفرشاته. أخذ معجون الأسنان أيضًا وخيط تنظيف الأسنان.

كان يستطيع سماعهم في غرفة المعيشة بينما يتحدثون بأصوات خفيضة.

غسل وجهه. وضع الصابون والمنشفة في حقيبة الحلاقة. ثمّ دسّ أيضًا صحن الصابون، والكأس الواقفة جوار المغسلة، وأخذ أيضًا مقصّ الأظافر، ومُجعّد الرموش الخاص بها.

لم يتمكّن من إغلاق حقيبة الحلاقة، لم يكن ذلك مهمًّا. ارتدى معطفه وحمل الحقيبة، ذهب إلى غرفة المعيشة.

حين رأته ماكسين، لفّت ذراعها حول كتفي راي.

"انتهى،" قال إل.دي. "هذا وداعنا. لا أعرف ما أقول أيضًا، لكن أظنّ أني لن أراكِ مرّة أخرى. وأنتِ أيضًا،" وجّه إل.دي حديثه إلى راي.

"أنتِ وأفكارك الحمقاء."

"ارحل،" قالت ماكسين. والتقطت كفّ راي. "ألا يكفي ما أحدثته من ضرر في هذا المنزل؟ هيّا إل.دي، اخرج من هنا واتركنا في سلام."

"فقط تذكر،" قالت راي. "إنّها في رأسك."

"أنا راحل، هذا كل ما أستطيع قوله،" قال إل.دي. "نحو أيّ مكان بعيد عن بيت الحمقى هذا، هذا هو الأمر المهم."

أجالَ نظرةً أخيرة عبر صالة الجلوس، ثم نقل الحقيبة من يدٍ إلى الأخرى. ثم وضع حقيبة الحلاقة تحت ذراعه. "سأكون على اتصال، راي، ماكسين، من الأفضل لكما الخروج من بيت الحمقى هذا أنتما أيضًا."

"أنت من جعله بيت حمقى،" قالت ماكسين. "إذا كان حقًّا بيت حمقى فأنت السبب".

أنزل حقيبته على الأرض ووضع حقيبة الحلاقة فوقها. ثمّ انتصب وواجههما.

تراجعتا إلى الخف.

"حذارِ أمّي..." قالت راي.

"لستُ خائفة منه،" قالت ماكسين.

وضع إل.دي حقيبة الحلاقة تحت ذراعه، والتقط الحقيبة من جديد.

قال: "أمرٌ أخير أريد قوله لكما..."

لكنّه، حينها، لم يستطع أن يعرف ما هو.

دليل القارئ إلى تحليل قصّة:

لمَ لا ترقصان؟

1. لماذا تقرّب الرجل إلى الزوجين الصغيرين؟
2. لماذا كانت الفتاة الأصغر مهتمّة بإظهار التودّد الجنسيّ على السرير الموجود في الخارج؟
3. لماذا تظاهر الشاب الأصغر بأنه ذاهب ليبحث عن صاحب المنزل، بدلاً من أن يخبر الفتاة بانتهاء فترة اللعب؟ ما أهمية هذا الأمر؟
4. لماذا كانت الفتاة الأصغر تريد التواصل الجسدي مع الرجل المسنّ، لكنها بعد ذلك تؤكد على كونه رجلاً يائسًا؟ ما الذي كان يحدث حينئذٍ؟
5. لماذا تستمر الفتاة الأصغر في الكلام عن الرجل مؤكدة وصفه بالخاسر؟ إلامَ تقصد بهذا؟

دليل القارئ إلى تحليل قصّة:

عمّ نتحدّث حين نتحدّث عن الحُب

1. هل كان كلٌّ من ميل ولورا يتبادلان عبارات الغزل؟ إذا كان الأمر كذلك، كيف كانت ردود فعل نِك وتيريزا تجاه ذلك؟
2. هل تغيّرت أي من هذه الشخصيات عبر فصول القصة؟ إذا كان الأمر كذلك، أيّ منها تغير؟ وكيف تغير؟
3. هل تعلّم الزوجان أي شيء من علاقة الحب التي كانت تربطهما؟ إذا كان الأمر كذلك، فما الذي تعلّماه؟
4. هل تثق بنِك بصفته الرّاوي؟ هل يحمل نِك أيّ تحيّز؟ وما تعريف الحب بالنسبة إليه؟
5. كيف تصف علاقة لورا بتيريزا؟ هل كانا صديقين؟ أم متنافسين؟
6. هل كان حب تيري لإيد نابعًا من حزنها على وفاته والطريقة التي مات بها؟ لو كان إيد على قيد الحياة وما يزال يهدّدها، هل كانت ستشعر بالشيء نفسه؟ هل أصبحت تيري قادرة على النظر إليه كإنسان لأنه لم يعد يشكّل تهديدًا لها؟

7. هل هذه القصة تعلمك شيئًا عن الحب؟ أذكر السبب في حال الإجابة بنعم أو لا.
8. هذه القصة تركز على الحب الرومانسي، هل تخبرنا هذه القصة أيضًا بأي شيء عن الحب الأفلاطوني أو الصداقة؟ إذا كان الأمر كذلك، فما الذي أخبرتنا به؟

المؤلّف

ريموند كارفر قاصّ وشاعر أمريكي وُلدَ في أوريغن عام 1938 . ترشّحت أوّل مجموعة قصصية له (Will You Please Be Quiet, Please) لجائزة (National Book Award) عام 1977 ، ثمّ أتبعها بمجموعة (عمّا نتحدّث حين نتحدّث عن الحب) و(كاتدرائيّة) التي ترشّحت لجائزة (Pulitzer Prize) عام 1984 . وأخيرًا (Where I'm Calling From) عام 1988 حين وُهب بعدها الدكتوراه الفخريّة من قِبَل أكاديميّة الفنون والرسائل الأمريكيّة. كتب أيضًا مجموعات شعريّة، أنهى آخرها بعنوان (A New Path to the Waterfall) قبل وفاته مباشرة عام 1988 جرّاء إصابته بالسّرطان.

عاش كارفر في عائلة مُدقعة الفقر، وصاحَبَه الاكتئاب طوال حياته. عانى من أبٍ مدمن على الكحول يعنّف أبناءه، فأخذ عنه إدمانه ذاك. تزوّج صغيرًا في عمر التاسعة عشر، وزاول مهنًا بسيطة حاول من خلالها أن يُقيم أوده ووأد زوجته. انضمّ إلى برنامج للتدريب على الكتابة الإبداعية عام 1958 ورأى في ذلك فرصة لتغيير حياته.

رفضَ ريموند الكتابة الإبداعية التجريبيّة التي انتشرت في الستينات والسبعينات من القرن العشرين، وتبنّى أسلوبًا واقعيًّا أعاد به ابتكار

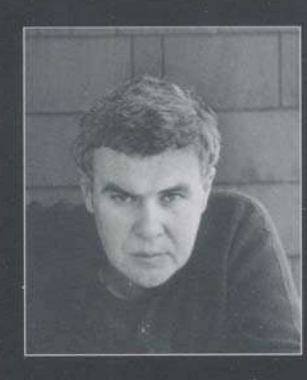
القصّة الأمريكيّة القصيرة خلال الثمانينات، ما دفعه لتسَيُّد المقعد الأوّل في صفوف المنتمين إلى حركة Dirty realism الذين ينتبهن إلى تفاصيل الحياة المُهملة جدًّا والمُستَخفّ بها، فيعطونها معنىً ومركزيّة. وبمساعدة غوردن ليش، محرّر قصص كارفر، واللاعب الذي ادّعى أن تدخّلاته في قصص كارفر وصلت إلى حد أنّه شارك في تأليفها، اعتُبر كارفر أحد أكبر كتّاب الحركة التبسيطيّة (Minimalism) في الكتابة القصصيّة.

المترجم

سلطان فيصل، كاتب رأي وروائي إماراتي صدرت له روايتان: (قميص يوسف) و(لا أريد لهذه الرواية أن تنتهي). فازت الأخيرة بجائزة العويس لأفضل إبداع قصصي وروائي عام 2017. عضو مؤسّس في موزاييك وهي مبادرة شبابيّة مستقلّة تنشَط في دولة الإمارات لدعم وتمكين الثقافة بكافة ألوانها في المجتمع.

تأمّلات عميقة في الحُب والخسران والتعاطف. تأخذ القصص مشاهدها من مناطق مألوفة للجميع لكنّها معزولة في الوقت نفسه. بين رجال ونساء عاديين نلتقيهم يوميًا، يشربون ويصطادون ويلعبون الورق، منتظرين الوقت أن يمضي وحسب.

بحسّه الحادّ الدّقيق، وأسلوبه التبسيطيّ الذي عُرِف به، كتب كارفر هذه المجموعة القصصية التي وضعته في مصافّ أكثر المؤثّرين في المشهد الأدبي في الثمانينات الأمريكيّة. وقد أُعيدَت إلى الأضواء مؤخّرًا في فيلم Bird-man الحائز على أربع جوائز أوسكار عام 2015 لأنّ قصّة الكتاب الرئيسيّة (عمّ نتحدّث حين نتحدّث عن الحب) تشكّل قلب الفيلم وما تدور حوله أحداثه.



ريموند كارفر قاصّ وشاعر أمريكي وُلدَ في أوريغن عام 1938. ترشّحت أوّل مجموعة قصصية له (Will You Please Be Quiet, Please) لجائزة (National Book Award) عام 1977، ثمّ أتبعها بمجموعة (عمّ نتحدّث حين نتحدّث عن الحب) و(كاتدرائيّة) التي ترشّحت لجائزة (Pulitzer Prize) عام 1984. وأخيرًا (Where I'm Calling From) عام 1988 حين وُهب بعدها الدكتوراه الفخريّة من قِبَل أكاديميّة الفنون والرسائل الأمريكيّة. كتب أيضًا مجموعات شعريّة، أنهى آخرها بعنوان (A New Path to the Waterfall) قبل وفاته مباشرة عام 1988 جرّاء إصابته بالسّرطان.

عاش كارفر في عائلة مُدقعة الفقر، وصاحَبه الاكتئاب طوال حياته. عانى من أبٍ مدمن على الكحول يعنّف أبناءه، فأخذ عنه إدمانه ذاك. تزوّج صغيرًا في عمر التاسعة عشر، وزاول مهنًا بسيطة حاول من خلالها أن يُقيم وأده ووأد زوجته. انضمّ إلى برنامج للتدريب على الكتابة الإبداعية عام 1958 ورأى في ذلك فرصة لتغيير حياته.

رفضَ ريموند الكتابة الإبداعية التجريبيّة التي انتشرت في الستينات والسبعينات من القرن العشرين، وتبنّى أسلوبًا واقعيًّا أعاد به ابتكار القصّة الأمريكيّة القصيرة خلال الثمانينات، ما دفعه لتسَيُّد المقعد الأوّل في صفوف المنتمين إلى حركة «Dirty realism» الذين ينتبهون إلى تفاصيل الحياة المُهملة جدًّا والمُستَخفّ بها، فيعطونها معنىً ومركزيّة. وبمساعدة غوردن لِيش، محرّر قصص كارفر، واللاعب الذي ادّعى أن تدخّلاته في قصص كارفر وصلت إلى حد أنّه شارك في تأليفها، اعتُبِر كارفر أحد أكبر كتّاب الحركة التبسيطيّة (Minimalism) في الكتابة القصصيّة.

«من بين أفضل كُتّاب القصة القصيرة على مرّ العصور»

The Guardian



«أنجز كارفر ما يُخفق في إنجازه كثيرٌ من الأدباء؛ لقد ابتكر بلادًا له وحده...»

The New York Times



«كثيرٌ من الكُتّاب هم محطّ تقدير، واحترام، واحتفاء أحيانًا. لكن قليلًا منهم، ومن بينهم كارفر، محبوبون...»

New York Review of Books

TODD HIDO / EDGEREPS


ISBN 978-9948-10-144-4
9 789948 101444

